سبحات روحانية حول الآيات القرآنية

حسن الروحاني

إهـداء

إلى خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبد العزيز آل سعود

إلى القائد الملهم الذي شرفني الله بالعمل تحت قيادته في الحرس الوطني ما يزيد على العشرين عاماً تم فيها صباغة حياتي صباغة روحانيه خاصه تعلمت فيها من فلسفة القائد و روحانياته الإنسانية الراقيه و كيف لا و فلسفة القائد كانت ملزمه لكل العاملين معه و تحت قيادته بالتباهي بأنهم من أفراد الحرس الوطني رغم اختلاف جنسياتهم و دياناتهم ، إن فلسفة القائد كانت تخاطب كل المستويات دون و جود المفارقات و النخوة الإسلاميه و العربية تعلو كل النسمات و كم كانت كلمة القائد في العيد إلى الأمة الإسلاميه تخاطب جراح الأمة و تلقي عليها بلسماتها إنها لمحات من نسمات القيادة المحمدية الراقيه .

وها نحن أمة الإسلام و قد أراد الله للقائد الملهم أن يكون خادماً للحرمين الشريفين إنها المسئولية العالمية الإسلاميه و ما على أمة الإسلام إلا الاعتصام حول القائد عسانا نصل إلى ما وصلنا إليه حين كان اعتصامنا حول الملك فيصل طيب الله ثراه و كان للإسلام و المسلمين حينها علاً العز و السلطان فأللهم ألهم أمة الإسلام الاعتصام حول القائد عسى أن تظلل بالعلا و السلطان

حسن الروحاني

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد الأولين و الآخرين و خاتم الأنبياء و المرسلين سيدنا محمد النبي الأمين و على آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين..... و بعد .

فالقرآن الكريم هو الكتاب الخاتم الذي جعله الله تعالى لأهل الأرض في دُجى الظلم نوراً ساطعاً ،

و في سُدَفِ الشبه شهاباً لامعاً ، و في فضله المسالك دليلاً هادياً ، و إلى سُبَل النجاة و الحق هادياً . تكفل الله تعالى بحفظه و ندب الأمة إلى تدبر آياته وفهم كلماته و الوقوف على حكمه و هداياته

و عظاته قال تعالى ﴿أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ اخْتِلاَفًا كَثِيراً﴾ النساء ٨٢

حفظه الصحابة رضي الله عنهم في صدورهم و وعوه بقلوبهم و فقهوه بعقولهم ، و جاء التابعون رضي الله عنهم من بعدهم فساروا على نهجهم ، فشغلوا أوقاتهم بتفسيره و زينوا مجالسهم بتلاوته ، فرضي الله عنهم و رضوا عنه

و لا تزال الأمة الإسلاميه سلفها و خلفها يعكفون على كتاب الله تعالى يتلونه و يحفظونه

و يتدارسونه . يغوصون في بحار معانيه فيستخرجون منها لآلئ بلاغته و درر حكمه و أحكامه،

و يقفون على أسراره و إعجازه و تشريعاته، قال تعالى ﴿ وَهَـذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ الأنعام ١٥٥

و لقد سعدت بقراءتي ما كتبه الأخ الفاضل الأستاذ حسن الروحاني ،في كتابه "سُبحات روحانيه حول الآيات القرآنية " فوجدت أن ما سطره في كتابه هذا محاوله طيبه لفهم كتاب الله و إستنباط بعض ما إشتملت عليه آياته الكريمة من معانٍ و هدايات و وقوف على أسرار و دلالات ما تضمنه القرآن الكريم من قصص و موضوعات ، إذ لا يزال القرآن الكريم بحر زاخر بأنواع العلوم و المعارف ، و سيظل يمنح الإنسانية من علومه و معارفه ،و من أسراره و حكمه ما يزيدهم إيماناً و إذعاناً بأنه المعجزة الخالدة للنبي العربي الأمي سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم ، و أنه تنزيل الحكيم الحميد جل وعلا ...نفع الله به و شرح الصدور له ، و جزى الأخ الكريم خير الجزاء ..... والله من وراء القصد و هو الهادي إلى سواء السبيل....

أ.د /محمد سعيد محمد عرام

عميد كلية أصول الدين بالزقازيق سابقاً

و أستاذ التفسير بالكلية

المقـدمـة

إن في الحياة مع روح القرآن العظيم لروحانية عالية واطمئناناً للنفس حنون دفئه ولا مجال لمشابهته حيث تسبح الروح في بحر من الطمأنينة مظلله بظلال ربها الرحمن بعيدة عن شهوات الإنسان صاحب الجسد الفاني الذي إذا قُضى له الزمان لا ترتبط معه على أي حال حيث الجسد إلى أصله في التراب حان، والروح حيث يأمرها ربها صاحب العظمة والسلطان.

شديد هذا الصراع بين هذين المتلازمين في الحياة الدنيا ألا وهما الروح والجسد وهاهو كل منهما له لذته وكل منهما له شهوته منطلقا فيها من طبيعة خلقته، وهاهو الجسد مخلوق من التراب أصل كل المادية وما حياته كلها إلا مادية وكلها شهوانية و يضاده في ذلك الروح تلك التي ما جاءت إلا من النفخة الربانية من الذات العلية وعليه فما حياتها كلها إلا روحانية وتعشق بفطرتها القرب من رب البرية وما الجسد للروح هنا إلا إطاراً يحويها تماما كما الملابس تحوي الأجساد وما الروح للجسد هنا إلا كفارس يمتطي جواداً فإما أن يكون خيراً فيلقيا الخير سوياً، وإما أن يكون شريراً فيلقيا الهلاك جليا، وما يأتي الخير أو الشر إلى الروح إلا من مدد غذائها حيث هي على فطرتها التي خلقها الله عليها لا غذاء صالح لها إلا من كنز الروحانية الأوحد ألا وهو القرآن الكريم وهي إن أخذت غذاءَ من غير كنزها صارت شريرة شيطانية تماما كما أي جهاز كهربائي في حياتنا إن أخذ طاقته من غير مصدره تلف وأتلف ما حوله، والقرآن الكريم عند رب العالمين هو الكنز الأوحد لمدد الروحانية وله عند الله الدرجة العلية على كل ما سبقه من الكتب السماوية. ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً**﴾ (سورة الفتح: ٢٨)، إنه الكتاب الذي علا الله فيه برسوله في قوله تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، إنه الكتاب الذي علا الله فيه بأمته في قوله تعالى: ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾ (آل عمران: ١١٠)، وما جاء هذا العلا من الله للقرآن ورسوله وأمته إلا لأن القرآن عند الله دستور عبادة المخلوقات للخالق وهو عند الله منذ بدء الخلق وعلمه للخلق عند الله سابق لخلق الإنسان كما قال تعالى في سورة الرحمن ﴿ **الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ (الرحمن: ٤:١) ،أي أن كل خلق الله قبل خلق الإنسان أخذ من عظمة القرآن كل أخذ منه حاجته بما هو مناسب لطبيعة خلقته فكيف وأمة الإسلام جاء لها عظيم البيان

كاملاً، وكيف لا وهي الأمة التي منها أحب خلق الله إليه، ووحده محمد من كل خلقه تابع اسمه اسم ربه عند عرشه وفي كل مكان طاهر في كونه لا إله إلا الله محمد رسول الله، إنه خاتم المرسلين أحب خلق الله إليه إنه الذي أدخر الله له عنده كنز القرآن، ذلك الذي مهما طافت حوله ملايين الكتب وملايين العقول فإنها تظل دوماً حوله تصول وتجول دون أن يصيبها أي شيء من الفتور وما ذلك إلا لأن الكتاب كتاب لا ينتهي عطاؤه، وهاهم علماء البيان على مر العصور والأزمان كلما ظهر لهم في علومهم بيان وجدوه في القرآن خبراً لكان فيقفون أمام العظمة أقزام وأقزام وتصاب أنفسهم بالذل والخذلان ذلك لأن كنز القرآن ما هو إلا كما البستان في كل زمان ومكان مهما طاف حوله ملايين النحل أزماناً وأزماناً ومهما أخذ من رحيقه ألواناً وألواناً فإنها كلها لا تنقص شيئا من البستان بل إنه كلما تعددت من النحل الطوافات كلما ازدادت منها إلى البستان الاشتياقات، وهانحن سوف نطوف حول القرآن ببعض من الطوافات نكون فيها حول الكلمات والكلمات، والآيات والآيات، والسطور و السطور لعل الله يجلي لنا بعضاً من الأنوار في الصدور، وبديهي لنا مع رحلة الطوافات أن يكون معنا بعضاً من الكتب والكتيبات التي تبحث في تلك التجليات لعل الله يجلي لنا بها بعضا من الخفيات ونحن حين يكون الأمر أمامنا عسير فإننا سرعان ما سوف نهرول في المسير نحو العديد من الكتب المتخصصه لعل الله يجلي لنا بها الخفية عسى أن نكون عند ربنا من الأنفس الذكية، وكم كان لي من قبل مثل هذه الرحلة عديداً من الرحلات القصيرات وجدت أمامي بعدها كماً هائلاً من الوريقات حاملة الكثير من الروحاينات بعد الروحانيات ودفعتني كثرتها إلى سرعة المساءلة للذات لماذا اتبع فيما يرزق الله به غيري من الروحانيات طريق الملزات وأكنز لنفسي ما يرزقني الله به من تجليات الروحانيات وسرعان ما أدركت أن ذلك ليس إلا أنانيات وحب للذات وسرعان ما أدركت عظيم ذنبي في إخفاء ما ائتمننى عليه ربي إن العلم ليس إلا علم الله، وعلم الله حق لخلق الله وما أنا لما علمني ربي إلا مؤتمن عليه، وسرعان ما دفعتني الاستنتاجات نحو ضرورة السرعة في أداء الأمانات بسرعة إظهار ما رزقني به الله من تجليات الروحانيات لعلى أنال من صحبتي بعضاً من الدعوات عساها أن تكن عند الله مجابات........أمين.

وهاهو أخوتي برنامج رحلتي:

أولاً: البدء بعدد من التعريفات والتوضيحات.

ثانياً: البدء بإيجاز ما يرشد إليه الجزء ثم البدء بإيجاز السورة أو ما جاء من السورة في الجزء.

ثالثاً: عنونة كل مجموعة من الآيات يمكن الربط بينها بعنوان واحد ثم تجزئة هذا العنوان إلى مجموعة من العناوين تسهيلاً لاستيعاب المعنى وإظهاراً للربط بين كل عنوان وسابقة ثم كتابة الآيات التابعة للعناوين المجزأة في نهاية السرد.

رابعا: يتم سرد العناوين الفرعية بطريقة أقرب إلى القصصية لعل الله يجلي لنا بذلك بعضا من الخفية.

ضرورة إظهار الربط بين كل سرد وسابقه لإظهار التكامل بين الآيات والآيات، والسور والسور، والأجزاء والأجزاء عسى الله أن يظهر لنا التجليات.

هذا وبالله التوفيق

حسن الروحاني

تعريفـــــــــات

المصحف: مفعل من أصحف أي ما يجمع فيه الصحف والصحف جمع صحيفة، والصحيفة قطعة من الجلد أو من الورق. وأطلق هذا الاسم من كان لهم هجرة إلى الحبشة حيث أهل الحبشة كان عندهم كتاب يسمونه مصحف وحتى لا يكون اسم كتابهم فيه تشابه مع أسماء كتب أهل الكتاب اسمي المسلمون كتابهم مصحف.

السورة: هي ما يعرف بدايتها ويعرف نهايتها وهي في ذلك مثل سور البناء حيث يكون السور لبنه فوق لبنه حتى يصل السور إلى منتهاه وهكذا فإن السورة أية بعد أية حتى تصل السورة إلى منتهاها.

الآية: تعني أنها العجيبة وهي التي لا يمكن الإتيان بمثلها. أي أنها المعجزة رغم تعدد كلماتها بل هي أحياناً تكون كلمة فما أعظم الإعجاز.

الاستعاذة: تعني الاستغاثة وهي لا تكون إلا بمن هو أقوى منك وأقوى ممن تستغيث منه وهي هنا بالله العلي العظيم وقاية به من وساوس الشيطان الرجيم ذلك الذي هو اسمه مشتق من شطن أي بعد والابتعاد هنا هو ابتعاد وطرد من رحمات الرحمن الرحيم والاستعاذة كانت هي أول ما نزل به جبريل الأمين على نبينا الكريم وقد قال له يا محمد استعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قال له قل بسم الله الرحمن الرحيم، وتتالي بعد ذلك الوحي، وهكذا نجد أن الاستعاذة بالله العظيم من الشيطان الرجيم تلزم بالضرورة قبل قراءة القرآن الكريم كما قال رب العالمين ﴿**فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**﴾ (النحل: ٩٨)، والاستعاذة هنا قبل قراءة القرآن ما هي إلا طهارة للروح تماماً كما الوضوء طهارة للجسد، حيث قراءة

القرآن تكون بالروح وباللسان من الجسد وقد قال الله تعالي ﴿ **وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** ﴾ (الأعراف: ٢٠٤) والاستماع هنا هو للأذان والإنصات للروح في الأبدان، والاستعاذة أوصى بها سيدنا رسول الله قبل العبادات وقبل المعاملات إعداداً لطهارة الذات ومن وصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم و أفعاله أنه كان يعيذ الحسن والحسين بقوله (أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة) (الترمذي ١٩٨٦) وكان يستعيذ لنفسه بقوله (أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين ومن أن يحضرون)(مسند أحمد ٢٢٧١٩) وهكذا يكون قد تجلى أمامنا أهمية الاستعاذة بالله العظيم من الشيطان الرجيم وتابعية من الإنس والجان أجمعين وحق في ذلك قول إن قصدك العدو الغائب فافزع إلى الحبيب الغالب وعليه فإن كل ما سبق ليس إلا تصديقاً لقوله تعالى: ﴿**وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ**﴾ (المؤمنون: ٩٧: ٩٨)

صحة الاستعاذة: من لا يعرف عز الربوبية وذل العبودية لا تصح منه الاستعاذة.

- **لماذا اختص اسم الله في الاستعاذة ؟**

اختص اسم الله في الاستعاذة لأنه وحده الدال على الذات والدال على الصفات في وقت واحد دون الأسماء الأخرى تلك التي كلها فقط صفات واسم الله وحده هو الاسم والصفة في وقت واحد.



- **هل الاستعاذة تكون من شياطين الجان فقط ؟**

شياطين الجان سلطانهم على بني آدم سلطان محدود وهو سلطان لا يتجاوز الوسوسة وهذا ما يعلنه إبليس بنفسه يوم القيامة حين يتبرأ من تابعيه كما في الآية **﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (إبراهيم: ٢٢)، أما شياطين الإنس فهم يملكون الأفعال ويملكون الأقوال **﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾** (الأنعام: ١١٢)، **﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** (التوبة: ٧٩)، وقوله تعالى **﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَماً وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾** (التوبة: ٩٨)، وهكذا يكون ما سبق قد جلى أمامنا أن شياطين الإنس أكثر شراً شياطين الجن.

● لماذا عداء الشيطان لآدم وذريته؟

كان خلق الجان عند الله سابق لخلق آدم وكان خلق آدم هو أخر ما خلق الله وسكن خلق الجان الأرض قبل خلق آدم وأفسدوا فيها فساداً كبيراً حتى جاء غضب الله عليهم وسلط الله عليهم ملائكته لقتالهم وقاتلتهم الملائكة قتالاً شديداً حتى لم يبقى منهم على الأرض أحد سوى إبليس كبيرهم وقد فر من الجان من فر منهم إلى الجبال وفر من فر منهم إلى البحار وحان عند الملائكة صعودها إلى السماوات فصعد إبليس معهم حيث أنه كان مقاتلاً لقومه مع الملائكة ولم تكن مقاتلته لقومه طاعة لله ولكنها كانت بغضاً منه لقومه لأنهم لم يطيعوه حين كان ينهاهم عن المعصية وهم لم يطيعوه لأنهم كانوا يعلمون أنه أفسد منهم ولكنه يأمرهم بالطاعة حتى لا يكون مثلهم ويمكنه ذلك من فرض سلطانه عليهم وصعد إبليس مع الملائكة إلى السماوات وكان لابد له أن يفعل فعلهم ليعيش بينهم فكان يسبح الله كما يسبحون ويعبد الله كما يعبدون وكأن الملائكة هم أأمته ولم يكن ذلك من إبليس إلا تظاهراً ليعيش بين الملائكة، وحان عند الله خلقه لآدم ليكون في الأرض خليفة وجاء خلق آدم عند الله مكرماً تكريماً عظيماً دون سائر خلقه فأثار ذلك في نفس إبليس الحقد والكراهية لخلق آدم وطلب الله من الملائكة أن تسجد لعظمات خلقه في خلق آدم على أن يسجد إبليس معها لأن الأمر له كما هو لهم وسجدت الملائكة ولم يسجد إبليس من كثرة حقده على أدم فغضب الله عليه وطرده من الجنة ومن حينها بدأ عداء الشيطان لآدم ثم إلى ذريته من بعده وإلى يوم الساعة.



من استعاذات الأنبياء والسابقين.

نوح: ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾ (هود: ٤٧).

يوسف: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ﴾ (يوسف: ٢٣).

يوسف: ﴿مَعَاذَ اللهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَهُ﴾ (يوسف: ٧٩).

موسى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ (البقرة: ٦٧).

موسى: ﴿ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴾ (الدخان: ٢٠).

امرأة عمران: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ (آل عمران: ٣٦).

مريم: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا﴾ (مريم: ١٨).

الأمر بالاستعاذة في القرآن:

جاء الأمر بالاستعاذة في القرآن الكريم في مواقع عديدة:

أولا: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ (النحل: ٩٨).

ثانيا: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (الأعراف: ٢٠٠)

ثالثا: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ۞ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ﴾ (المؤمنون: ٩٧، ٩٨).

رابعا: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ (الفلق: ١).

خامسا: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ (الناس: ١).

من أحاديث الاستعاذة

أولاً: من نزل منزلاً ثم قال أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل(سنن الدرامي ٢٥٩٤).

ثانياً: عن عبد الله بن عمر قال كان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر فأقبل عليه الليل قال: يا أرض ربي وربك الله أعوذ بالله من شرك ومن شر ما خلق فيك ومن شر ما يدب عليك ومن أسد وأسود ومن الحية والعقرب ومن ساكن البلد ووالد وما ولد. (سنن أبي داود ٢٢٣٦)

ثالثاً: حدثنا سليمان بن صرد قال إستب رجلان عند النبي • و نحن عنده جلوس و أحدهما يسب صاحبه مغضباً و قد إحمر وجهه فقال النبي • إني لأعلم كلمةً لو قالها لذهب عنه ما يجد لو قال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقالوا للرجل ألا تسمع ما يقول النبي • قال إني لست بمجنون (صحيح البخاري ٥٦٥٠)



روحانيات حول البسملة:

أولاً: قال العلماء إن الله قد جمع معاني القرآن الكريم في سورة البقرة وجمع معاني سورة البقرة في فاتحة الكتاب وجمع معاني الفاتحة في البسملة.

ثانياً: البسملة تسعة عشر حرفاً وزبانية جهنم تسعة عشر، يدفع لله بكل حرف من البسملة واحداً من زبانية جهنم.

ثالثاً: ماشطة ابنة فرعون وهي تمشط لها شعرها وقع منها المشط فقالت الماشطة بسم الله الرحمن الرحيم فتعجبت ابنة فرعون وسألتها هل لك إلهاً غير أبي فقالت الله ربي ورب أبيك وأخبرت ابنة فرعون أبيها ولم تتراجع الماشطة عن قولها حتى أعد فرعون قدراً كبيراً يغلي فيه الماء ووضع أطفالها في القدر واحداً بعد الآخر حتى جاء دور الرضيع وأشفقت عليه أمه وقررت التراجع بلسانها دون قلبها فأنطق الله طفلها قائلاً لها عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

رابعاً: عن الإمام الحسين بن علي أنه قال في تفسير: ﴿**وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْراً وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُوراً**﴾ (الإسراء: ٤٦)، معناه إذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم.



البسملة عند الأنبياء والسابقين:

أولاً آدم: أمنت ذريتي من العذاب ما داموا على قراءتها.

ثانيا نوح: بسم الله مجريها ومرساها.

ثالثا إبراهيم: كانت زاده في المنجنيق.

رابعا سليمان: وإنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم.

خامسا عمر بن عبد العزيز: طولوا الباء وأظهروا السين ودوروا الميم.

بسم الله الرحمن الرحيم

آيات حول البسملة:

أولا: ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (الحج: ٣٦).

ثانيا: ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (هود: ٤١).

ثالثا: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (العلق: ١).

رابعا: ﴿ بِسْمِ اللهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ (هود: ٤١).

بسم الله الرحمن الرحيم

من علا البسملة:

كم تعلوا السعادة حياة المسلمين حين يقضى لهم أمر يحبونه وقت آذان الفجر أو يوم عرفة أو مع بدء رمضان أو ما شابه ذلك وتراهم يقولون في ذلك إن قدوم الخيرات في الأوقات المباركات فيه دلالة على علا الخيرات فكيف الأمر حين يكون بادئ اً برب الخيرات والأرض والسماوات إنه بالطبع لابد مصحوباً بعلا الخيرات وعلا الدرجات وأمة الإسلام دون كل الأمم لها العلا وهاهم كفار مكة وقد كان بدؤهم باسم اللات والعزى وهاهم النصارى بدؤهم باسم الأب والابن والروح القدس وعلى ما سبق يكون قد تجلى أمامنا أن أي بدء غير بدء المسلمين هو كفر وشرك برب العالمين وعلى ما سبق جاء بدء القرآن الكريم بالبسملة تلك التي هي بدء فاتحة الكتاب وبدء الكتاب من رب الأرباب.

الجـــزء الأول

جل جلاله

إيجاز الجزء الأول:

بدأ الجزء الأول بفاتحة الكتاب والبدء بها لا يعني أنها أول سور النزول بل هي أول سور الترتيب كما علم جبريل سيدنا رسول الله حيث ترتيب سور الكتاب جاء من رب الكتاب وهذا الترتيب له دلالات خاصة عند الله،وفاتحة الكتاب المبين قال فيها العلماء إن الله جمع معاني القرآن الكريم في سورة البقرة وجمع معاني سورة البقرة في فاتحة الكتاب وجمع معاني فاتحة الكتاب في البسملة وجبريل عليه السلام قال لسيدنا رسول الله في فاتحة الكتاب كنت أخشى على أمتك من العذاب فلما نزلت فاتحة الكتاب أمنت فسأل سيدنا رسول الله جبريل ولم يا جبريل فقال جبريل لأن الله تعالى قال **﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾** (الحجر: ٤٣)، **﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾** (الحجر: ٤٤)، وفاتحة الكتاب آياتها سبع فمن قرأها صارت كل أية منها طبقا على باب من أبواب جهنم فتمر أمتك عليها سالمين، وفاتحة الكتاب جاءت حاملة لخمس من صفات الربوبية وخمس من صفات العبودية وتبع فاتحة الكتاب ما جاء من سورة البقرة في الجزء الأول والذي هو موضوعنا، وسورة البقرة سورة أنزلت على سيدنا رسول الله بالمدينة تدعيماً له وهو يقيم دعائم الدولة الإسلامية وكانت سورة البقرة لسيدنا رسول الله وكأنها الدستور الأساسي لشرائع الدولة الإسلامية تلك التي قال فيها العلماء إنها تصل إلى ألف أمر وألف نهي ألف حكم وجاء فيها الحديث عن التقوى في أكثر من بضع وثلاثين موقعاً نظراً لأهمية التقوى في تأسيس الدولة الإسلامية وسورة البقرة بدأت بعد أحرف الإعجاز ببيان الوصف الخاص للقرآن الكريم وبيان أنه زاد عباد الله المتقين نحو رضا رب العالمين، وجاء بعد ذلك بيان صفات خلق آدم وهم الذين جاء إليهم الكتاب وجاء اتساع الشرح في صفة المنافقين لعظيم شرورهم، ثم جاء بيان مثال منهم وبعد ذلك جاء بيان ثواب الله وعقابه لكل عباده، وتبع ذلك بيان خلق أدم أصل كل ما سبق من صفات لجلاء دقائق بيان الصفات وسرعان ما عاد البيان للحديث عن المنافقين وعن شر أشرارهم من بني إسرائيل

حيث جاء البيان عنهم مسطوراً فيما يقرب من ثلاث وثمانون أية بدأ بيانهم بندائهم يا بني إسرائيل وانتهى أيضاً بنفس النداء دلالة على عدم استيعابهم لما أراده الله من صيغة النداء وتبع ذلك ذكر ابتلاءات الله لإبراهيم لفضح هؤلاء القوم من بني إسرائيل وبيان أنه لا علاقة لهم بإبراهيم سوى علاقة النسب والذرية أما العلاقات الإيمانية فهي عن عيونهم خفية وتبع ذلك عزاء من الله لخاتم رسله في قلة عدد المؤمنين من بني إسرائيل رغم أنهم كانوا هم المبشرون بعظم الرسالة ورسولها، وهم الذين وصفوا رسولها بدقة وكأنه كان بينهم وكأنه كان أحدهم هكذا نكون قد أوجزنا ما جاء من سورة البقره في الجزء الأول مع فاتحة الكتاب.

الفـاتحـة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (١)
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧)

تقديم الإيجاز: بدأت فاتحة الكتاب بالحمد لله رب العالمين بعد البسملة وكان لابد لهذا البدء أن يكون حمدا لأنه بدء فاتحة الكتاب وبدء الكتاب والبدء بالحمد فيه دلالة على أنه قد سبقه المنة من الله، والبدء بالحمد قبل اسم المحمود جاء دلالة على أن منن المحمود على الحامد غالبة والبدء بالحمد لابد غالب ذلك لأن منن الله جاءت منن ادخارية ولفظية وفعلية أما الادخارية فكانت أن أدخر الله عنده من رحماته المائة تسعا وتسعين رحمة لرحمة خلقه من بني آدم يوم الحساب وأرسل إلى خلقه كله رحمة واحدة يتراحمون بها أما المنن اللفظية فكانت سابقه ولاحقة والسابقة كانت أن سبق الحمدَ البسملةُ والاستعاذةُ، والبسملة هي من كنز تحت العرش وسبقها بالاستعاذة فيه معنى الطهارة حيث الاستعاذة طهارة للروح كما أن الوضوء طهارة للجسد وتبع ذلك صفات الربوبية الخمس وصفات العبودية الخمس تلك التي قال الله فيها هذا لعبدي ولعبدي ما سأل، والمنن الفعلية كانت أن سخر الله كل ما سبق خلق آدم لتذليل حياة خلق آدم ثم خلق الله آدم بيديه ونفخ فيه من روحه واسجد له ملائكته إعلاناً لعظمات خلقه فيه.



صفات الربوبية هي:

١- الله ٢- الرب ٣- الرحمن ٤- الرحيم ٥- المالك.

وهذا التسلسل كم هو فيه من تسلسل عظمة وهاهو اسم الله يحمل وحده عظمات الذات والصفات في آن واحده وتلا ذلك اسم الربوبية إعلاناً له وحده بالملكية وبعد علا صفات التملك جاءت صفات الرحمة الكبرى والصغرى لأن الذي يرحم لابد أن يكون مالكاً لمقومات الرحمة والذي يملك كل ما سبق من صفات لابد عنده حساب ولابد عنده عقاب ووحده المالك ليوم الثواب والعقاب.

صفات العبودية هي:

١- العبودية ٢- الاستعانة ٣- الهداية ٤- طلب الاستقامة ٥- طلب النعمة

وهي أيضا جاءت متسلسلة وقد بدأت بإعلان العبودية وانتهت بطلب النعمة بالأنعام بكل ما سبق وطلب الهداية في عطاء الرب للعبد جاء بلفظ الجماعة إهدنا سواء كان القارئ فرداً أم جماعة عسى الله أن يكرم الجماعة من أجل الفرد أو يكرم الفرد من أجل الجماعة وفي ذلك تكاملية إسلامية ورحمات ربانية ويتبع قراءة الفاتحة قول أمين ذلك الذي قال فيه سيدنا رسول الله (ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام و التأمين) ابن ماجه٨٤٦

و قال أيضاً (إذا أمن الإمام فأمنوا فإن من وافق تأمينه تأمين الملائكه غفر له ما تقدم من ذنبه) صحيح البخاري ٧٣٨



وصف الحديث القدسي للفاتحة:

جاء وصف الحديث القدسي لفاتحة الكتاب قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل فإذا قال **﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** قال الله حمدني عبدي.

وإذا قال **﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾** قال الله أثنى عَلَى□ عبدي.

وإذا قال **﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ۝ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾** قال الله مجدني عبدي.

فإذا قال **﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾** قال الله هذا لعبدي ولعبدي ما سأل.

لماذا لم يأتِ ذكر البسملة في الحديث القدسي ؟

لم يأت ذكر البسملة في الحديث القدسي مع أن البسملة هي أول آيات الفاتحة ذلك لأن الحديث القدسي جاء لبيان صفات الربوبية، وصفات العبودية، وما جاء من صفات الربيوبية في البسملة جاء ذكره بعده وعليه ليس هناك حاجة للتكرار مع أن التكرار جاء في السورة لبيان علو هذه الصفات على كل ما دونها من صفات.

جل جلاله

لماذا جاءت آيات الفاتحة سبعاً ؟

جاءت آيات الفاتحة سبعا لأن الله أسماها في الحديث القدسي بالصلاة والأعمال المحسوسة في الصلاة سبعاً وهي:

١- القيام　　٢- الركوع　　٣- الانتصاب منه　　٤- السجود الأول

٥- الانتصاب منه　　٦- السجود الثاني　　٧- الانتصاب منه

وعلى ما سبق فإن تسمية الفاتحة بالصلاة والتي هي صلة بين العبد وربه تجلي لنا علا عظمات فاتحة الكتاب وقد قال فيها صاحب التحرير والتنوير الفاتحة وكأنها الموصوف الذي تصفه كل آيات الكتاب فما أعلى العظمة.

لماذا سميت فاتحة الكتاب فاتحة ؟

سميت فاتحة الكتاب فاتحة لأنها افتتاح الكتاب وافتتاح الصلاة بعد التكبير



لماذا سميت الفاتحة بالسبع المثاني ؟

أولاً: نصفها الأول ثناء العبد على الرب، ونصفها الثاني عطاء الرب للعبد.

ثانياً: يثنى بها في كل ركعات الصلاة فرضاً كانت أم نافلة.

ثالثاً: نزلت مرتين مرة في مكة، ومرة في المدينة.

من خصائص الفاتحة:

١- أسماها الله بالصلاة حيث الصلاة لا تصح بدونها فرضا كانت أم نافلة.

٢- قال فيها سيدنا رسول الله هي فاتحة الكتاب وهي شفاء من كل داء. (سنن الدرامي ٣٢٣٦)

٣- بها أقسام القرآن الثلاث التوحيد والأحكام والقصص.

اشتمال فاتحة الكتاب:

قال الإمام محمد عبد إن فاتحة الكتاب تشمل على:

١- التوحيد ٢- الوعد والوعيد.

٣- العبادة التي تحيي التوحيد في القلوب وتثبيته في النفوس.

٤- بيان سبل السعادة وكيفية المسير الموصل إلى نعم الدنيا والآخرة.

٥- قصص من وقف عند حدود الله تعالى وأخذ بأحكام دينه وأخبار الذين تعدون حدوده ونبذوا أحكام دينه.



حول صفات الربوبية:

فاتحة الكتاب سورة بدأت بالحمد بعد البسملة والحمد لله بدأت بها خمس من سور القرآن وكلها مكية وهي: ١- الفاتحة. ٢- الأنعام ٣- الكهف ٤- سبأ ٥- فاطر

وفاتحة الكتاب قال فيها الصحابة إنها سورة الحمد، والحمد كما سبق كان لابد بدءها لأنه بدء الكتاب وبدء الفاتحة والحمد هنا كم هو حوله من نعم المحمود على الحامد وحمد الحامد مهما بلغ كمه فإنه لن يكافئ نعمة واحدة من نعم المحمود على الحامد وجاء.

قول الله في نعمه: ﴿**وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ**﴾ (الضحى: ١١)، والحديث عن النعمة هنا جاء بالأفراد مع أن النعم كثيرة ذلك لأن كل نعمة تحوي عديداً من النعم والإفراد هنا معناه أي بكل نعمة وما يحويها من نعم فحدث ويزيد المحمود على الحامد فضله فيقبل منه حمده رغم رمزه إن هو أخلص في حمده وصيغة الحمد جاءت مصحوبة بصيغة تدل على استمرارها دون انقطاعها وهي صيغة لله وهي صيغة تدل على الملكية والاستمرار عكس صيغة إلى الله والتي تعني عدم الملكية والانقطاع والاستمرار جاء هنا عسى أن يقبل المحمود من الحامد حمده، والحمد هنا جاء لأسم الله دون كل أسمائه الحسنى لدلالته وحده على الذات والصفات ووحده اسم وكل ما غيره من الأسماء صفات وتبع اسم الألوهية اسم الربوبية دلالة على علا عطاء الألوهية على عطاء الربوبية ودلالة على أن الله وحده هو المالك حيث اسم الرب يعني المالك والمسيطر ولأن الله وحده هو المالك لكل العالمين فإنه وحده هو الرحمن الرحيم، وصفة الرحمن تعني العلا في البيان حيث الرحمن على وزن فعلان وهو الذي يعني تعظيم البيان في علا رحمات الرحمن الرحيم أي الرحمات على مجملها ورحمات الرحمن تعني الرحمات للمؤمن والكافر ذلك لأنها رحمات الربوبية تلك التي قال فيها سيدنا إبراهيم لربه ﴿**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**﴾ (البقرة : ١٢٦)، ومما سبق نجد أن إبراهيم طلب من الله أن تكون نعمه لعباده المؤمنين فقط ولكن الله رحمن وعطاؤه لابد سابق حسابه فجعل الله عطاءه في الدنيا للمؤمن والكافر ومن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وعلى ما سبق نجد أن عطاء الربوبية يرتبط بصفة الرحمن تماما كما عطاء الألوهية يرتبط بصفة الرحيم وهو الذي لا يستوي عنده الذين يعلمون والذين لا يعلمون وكلهم عنده محاسبون في يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ولا يدخل الجنة عند الله دون حساب إلا عباده المكرمون كما في بيان سيدنا رسول الله حين قال عمر أول من يلقي كتباه بيمينه فقال له الصحابة وأبا بكر يا رسول الله فقال رسول الله أبا بكر يدخل الجنة بغير حساب وأمثال أبا بكر الجنة هي التي تزدلف إليهم كما قال تعالى ﴿**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ**﴾ (الشعراء: ٩٠)، أما غير هؤلاء من بني آدم فتوزن أعمالهم جميعا عند الله بميزان واحد ألا وهو ميزان: ﴿**فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۞ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ**﴾ (الزلزلة: ٧، ٨) وبعد

الميزان يكون الثواب أو يكون العقاب ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۞ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۞ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ ۞ نَارٌ حَامِيَةٌ ﴾ (القارعة:٦: ١١)، والآية السابقة قال حولها سيدنا رسول الله (لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع في جنته أحد ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرحمة ما قنط من رحمته أحد)مسلم ٤٩٤٨ وحول ذلك العلا كان دعاء رابعة العدوية اللهم إن كنت تعلم أن دعائي لك هو طمع في جنتك فاحرمني منها وإن كنت تعلم أن دعائي لك هو خوف من نارك فأدخلني إليها. ويحكى عن رابعة أنها شاهدت يوما رجلاً أمامه خروف مشوي يأكل منه فظلت تنظر إليه بحده فحسبها الرجل تشتهي أكل لحم الخروف فدعاها إليه فرفضت وقالت له إنها لا حاجة لها به فسألها الرجل ولم تنظرين إلى الخروف بهذه الحدة فقالت أنا أنظر إليه عجباً وقد لقي النار وهو ميت بينما من يلقاها من بني آدم يلقاها وهو حي، وهكذا يكون ما سبق هو بعض من السبحات الروحانية حول صفات الربوبية تلك التي بدأت بالحمد لله رب العالمين والحمد هنا جاء موجهاً إلى لفظ الجلالة الله ذلك الذي يحمل وحده الدلالة على الذات والدلالة على الصفات دون كل غيره من الأسماء وفي ذلك إعلان بأن الحمد هنا هو للذات والصفات معا في أن واحد والحمد حين يأتي من الحامدين إلى لفظ الألوهية فيه دلالة على أن الحامدين يحملون من عطاء الألوهية ذلك الذي لا يهبه الله إلا للصالحين من عباده وهذا العطاء يأتي حاملاً معه عطاء الألوهية وعطاء الربوبية وعطاء الألوهية هو عطاء الخاصة للقوم الخاصة إنه عطاء الرحيم لعباده الخاصين وليس كعطاء الربوبية الذي قال الله فيه لإبراهيم ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ١٢٦)، وعطاء الربوبية يأخذ عطاءه من صفة الرحمن تلك التي يأتي منها عطاء الله للمؤمن والكافر أما عطاء الألوهية فهو يأتي من صفة الرحيم وهو عطاء الخاصة للعباد الخاصة فيه من رحمات الألوهية ورحمات الربوبية ورحمات الرحمن ملك الله بعضاً من لمحات صفاتها لبعض من عباده مؤمنا كان أم كافراً وليس معنى هذا أنهم يملكون كما يملك الله لأنهم وما يملكون من لمحات الرحمات ملك لله وكلهم لا يملكون أرزاقهم ولا أولادهم ولا أعمارهم فكيف لمن لا يملك أن يقول بأنه مالك وهو وكل ما يملكه مملوك لله ويؤكد الله لكل عباده أنهم لا يملكون وما من ملكيه في الكون إلا لمالك الكون وما من ملك يملكهُ الله لعبد من عباده إلا ملكاً مؤقتاً فمن بعد كل هذه الصفات يمكن له أن يقول بأنه مالك أو أنه رحمن أو رحيم كما رب العالمين وما سبق جاء فيه قوله تعالى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾

حول صفات العبودية:

بعد لمحات من أنوار صفات الربوبية هاهي سباحة روحانية حول ما تبقى من السورة حول صفات العبودية تلك التي قال الله فيها في الحديث القدسي **هذا لعبدي ولعبدي ما سأل** وأول ما جاء سؤال العبد لربه كان السؤال بطلب الهداية إلى طريق الله المستقيم ذلك الذي يعني الفوز برضا رب العالمين والفوز بجنات النعيم، وطلب الهداية جاء بلفظ الجماعة لأنه أقرب للإجابة عند الله كما سبق شرحه والهداية هنا هي إلى طريق الله المستقيم، وتعني الهداية إلى الطريق الذي سلكه المرسلون والنبييون والصديقون والشهداء والصالحون وحسن أولئك رفيقا وهذا الطريق هو غير الطرق التي سلكها سابقونا من اليهود والنصارى وهاهم اليهود وقد سلكوا طريق الجدال مع ربهم ومع رسولهم وكم قتلوا من أنبيائهم حتى صاروا عند ربهم مغضوبا عليهم وكل من شابههم في أعمالهم حتى وإن كان مسلما فهو مغضوب عليه وتبعهم النصاري بما جاء منهم بضلالهم وضلال قساوستهم وقد قالوا عن عيسى رسولهم إنه ابن الله وهاهم وقد تناسوا في قولهم أن أول ما نطق به عيسى نبيهم بعد ولادته كان قوله إني عبد الله أي إن قوله تشرف منه بإعلان عبوديته لله فمن أين جاء هؤلاء لعيسى بالبنوة لله، وهل هم يعرفون عن عيسى أكثر مما عرفه عيسى عن نفسه بالطبع لا ولكنهم ظنوا في قولهم بأنه إعلاء لنبيهم يتبعه الإعلاء لقساوستهم ستراً لفساد قلوبهم وهاهم القساوسة وقد جعلوا من أنفسهم وكأنهم أصحاب مكاتب عقار للجنات يكتبون منها المساحات لمن يدفع لهم الماليات كما أنهم جعلوا من أنفسهم الطريق نحو غفران الله للذنوب بما أسموه عندهم بكرسي الاعتراف وعلى ما سبق يكون قد تجلى أمامنا أن المغضوب عليهم هم اليهود وأن النصارى هم الضالون وكل من شابههم في أعمالهم بتأليه المال والسلطان أو الإنسان فهو ضال مثلهم حتى وإن كان مسلماً وبعد قراءة الفاتحة يختم القارئ قراءته بقول

(أمين) كما علم خاتم المرسلين وقد قال سيدنا رسول الله من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه، وقول أمين قول غير عربي وهو من اللغة الهيروغليفية ونطقه عندهم أتون وهو ما يعني عندهم طلب الإجابة واللغة الهيروغليفية هي لغة المصريين القدماء وكانت لغة معظم الناس حين نزول القرآن حيث لم يكن ينطق بالعربية غير العرب في شبه الجزيرة العربية واللغة العربية لم تكن إلا قبل الإسلام بمائة وخمسين عاماً وبيان ذلك يأتي في أول سورة البقرة، وهكذا نكون قد وصلنا إلى النصف الثاني من فاتحة الكتاب حول صفات العبودية وهو ما جاء فيه قول الله تعالى:

إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

إنه الذي قال الله فيه، في الحديث القدسي. **"هذا لعبدي ولعبدي ما سأل".**(صحيح مسلم ٥٩٨)



إيجاز ما جاء من سورة البقرة في الجزء الأول:

بدأت سورة البقرة بالأحرف المقطعة، والأحرف المقطعة في القرآن الكريم أية كاملة وسورة البقرة جاءت إلى سيدنا رسول الله في المدينة لتكون له عونا على تأسيس الدولة الإسلامية وبدأ هذا العون بعظمة أحرف الإعجاز ثم تبعه إعجاز وصف الكتاب وتبعه بيان صفات خلق الله الثلاث في خلق آدم وتبعه التذكير بنعم الله وعظيم ثوابه وشديد عقابه لكل خلق آدم ثم جاء البيان مطولاً عن بني إسرائيل أشد الناس عناداً لسيدنا رسول الله وأشد الناس فساداً في الأرض وتبع بيان بني إسرائيل بيان ابتلاءات الله لأبي الأنبياء إبراهيم لفضح بني إسرائيل وبيان أنهم لا علاقة لهم بإبراهيم سوى علاقة الذرية، أما العلاقات الإيمانية فهي عن عيونهم خفية وهي خاصة بالأمة المحمدية تلك التي مدحها الله على كل الأمم في قوله لهم ﴿**كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾ (آل عمران: ١١٠) هكذا نكون قد أوجزنا ترتيب الأحداث لما جاء في الجزء الأول من سورة البقرة .

ﷺ

من أقوال سيدنا رسول الله في سورة البقرة:

١- أنها سنام القرآن وأن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة. (مسلم ٣٣٧)

٢- لا تجعلوا بيوتكم مقابر فإن البيت الذي فيه سورة البقرة لا يدخله الشيطان.

(مسند أحمد ٨٥٦٠)

٣- يؤتي يوم القيامة بالقرآن وأهله الذين كانوا يعملون به تقدمهم سورة البقرة وآل عمران. (صحيح مسلم ١٣٣٨)

﷽

من أقوال العلماء في سورة البقرة:

١- فيها ألف أمر، وألف نهي، وألف حكم.

٢- جاء فيها الحديث عن التقوى في أكثر من بضع وثلاثين موقعاً.

٣- جاء الحديث فيها عن أهل الكتاب فيما يقرب من ثلث السورة.

٤- الحديث عن بني إسرائيل جاء في ثلاث وثمانين أية دون أي قوم غيرهم في القرآن كله.

٥- بدأت بأحرف الإعجاز وانتهت بإعلان طلب العفو والمغفرة من الله وفي ذلك دلالة على أن تطبيق دستور الإسلام يحتاج إلى السعي الدائم نحو الكمال وعلى قدر السعي لإعلاء دستور الدين تكون رحمات رب العالمين و يكون العفو وتكون المغفرة.

الإعجاز ووصف الكتاب وصفات من جاء لهم الكتاب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا۟ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

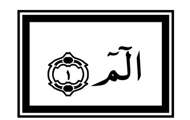
بسم الله الرحمن الرحيم

حروف الإعجاز:

بدأت سورة البقرة بالأحرف الأبجدية الإعجازية (آلم) وهو بدء فيه من إعجازات القرآن والتي هي لغوي، و تشريعي، و إخبار بالغيب، و اشتمال على العلوم والمعارف وكل هذه الإعجازات كم طافت حولها العقول وهي ما زالت حولها وستظل تصول وتجول وهاهي الأحرف المقطعة معجزة لكل علماء اللغة والبلاغة واجتهاداتهم كل يوم لها بيان وهاهو بيان من اجتهادهم يقول بأن عدد الأحرف المقطعة يساوي نصف عدد حروف الهجاء ولابد لذلك من دلالة خاصة وإعجاز الأحرف في القرآن ليس إعجازاً في الأحرف المقطعة فقط بل هو إعجاز في كل حروف القرآن وأسلوب تنظيمها حيث إنه لا يتعامل فقط مع ظاهرها ولكنه أيضا يتعامل مع الرموز الصوتية لها، حيث حروف اللغة العربية دون كل غيرها من اللغات لها رموز صوتية تدل على المعني المستخدمة فيه كل حسب موقعها ومثال على ذلك حرف الباء وجوده في أول الكلمة يدل على بدء شيء عكس وجوده في آخر الكلمة يدل على التدرج في فعل شيء حتى نهايته ولذلك فإن اللغة العربية لغة القرآن العظيم في ألفاظها في القرآن إعجازات داخل حروفها وطريقة تنظيمها وهاهي كلمة (بكة) وقد بدأت بحرف الباء لتعطي للكلمة معنى أنه أول بيت ولكن حين جاء البدء بالميم وجاءت كلمة (مكة) كان في معنى الحروف دلالة على البقاء الطويل وما سبق ليس إلا دلالة على إعجازات الحروف وليس فقط إعجازات الكلمات وليس فقط إعجازات الآيات إن الكتاب وحده دون أي كتاب في الكون معجز في كل شيء وحده معجز في ألفاظه وحروفه بل إن كل بيانه معجز وعليه كان لابد أن يكون البدء بعد فاتحة الكتاب ومقدمته بدءاً معجزاً فجاءت سورة البقرة بدأها (ألم) والكلام في هذا الموضوع طويل وهو ليس لنا ولكنه للعلماء المتخصصين وإذا نظرنا إلى ما بدأت به سورة البقرة (ألم) نجده بدءاً بدأت به ستة من سور القرآن الكريم ونجد أنه بعد كل ذكر (ألم) يأتي ذكر للرحمة حيث هذه الأحرف الثلاثة المعنى الرمزي لها فيه دلالة على دوام صلة خلق آدم بربهم وهم يدعونه وهو يجيبهم، وفي سورة البقرة جاءت (ألم) إشارة إلى القاعدة الوصفية لآيات التشريع وآيات التشريع تدخل في مسمى الرحمة وما سبق ليس إلا صورة من صور الإعجاز المقطعة، وهناك قول آخر لعلماء الهيروغليفية يقولون فيه إن نطق كل حرف من الكلمات

المقطعة يعني نطق كلمة كاملة في اللغة الهيروغليفية وبجمع معاني هذه الكلمات مع بعضها البعض تتكون جمله فيها دلالة إلى ما تدعوا إليه السورة ولقد صادق على هذا البحث مجمع البحوث الإسلامية وتم إعلانه بالجهة الرسمية، ولرب سائل يسأل لماذا يأتي كلام من اللغة الهيروغليفية في القرآن وهو عربي وفي ذلك يقول العلماء إن في لغة العرب وفي القرآن الكريم كلمات كثيرة أصلها هيروغليفي ذلك لأن اللغة الهيروغليفية كانت لغة معظم أهل الأرض حين نزول القرآن، كما أن اللغة العربية لم تكن إلا قبل نزول القرآن بمائة وخمسون عاماً وكانت الكلمات غير منقوطة ولا مشكلة ومن هنا تعددت القراءات دون الابتعاد عن المعني كما أن تداخل كلمات غير عربية في اللغة العربية يعني أنها صارت عربية وعلماء الفارسية يقولون بأن القرآن الكريم فيه سبعة وعشرون كلمة فارسية ولكنها بعد أن دخلت لغة العرب صارت من لغة العرب وهناك كلمات هيروغليفية في القرآن مثل الفردوس وهي تعني دار البقاء وكذلك حور عين وهي تعني الوجوه الجميلة وكثير من الكلمات في لغة العرب هي هيروغليفية مثل الحجاز والخبر وكلها تصف مكانها وحتى كلمة أمين التي بعد الفاتحة كلمة هيروغليفية وأصلها عندهم أتون وهي تعني التصديق على ما سبق أي أن التداخل اللحظي بين اللغة العربية لغة أهل الجزيرة ولغة العرب مع اللغة الهيروغليفية واللغة الفارسية فيه دلالة على أن القرآن ليس خاصا بالعرب كما كان حال الديانات السابقة كل منها خاص بأهلها فقط إن القرآن كتاب لكل أهل الأرض وإن جاء بالعربية وأصله عربي ورسوله من العرب، وكما قال الله تعالى لرسوله ﴿**لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ (الشورى:٧) وأم القرى هي مركز الدائرة لكل ما حولها في الأرض أي أن كل من على الأرض جاء لهم الكتاب ورسول الكتاب مهما كانت لغاتهم وثقافاتهم وكذلك قال الله لرسوله الخاتم ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وكلمة العالمين هنا يجب فهمها على فهمها الصحيح وفهم هذه الكلمة يتجلى بيانه في قول الحمد لله رب العالمين والعالمين هنا لا تعني الإنس والجن فقط ولكنها تعني كل العوالم وإرسال الرسول للعالمين تعني أنه لكل عالم في الكون كل يأخذ من رسالته ما يوافق طبيعة خلقته حيث كل مخلوق عند الله هو لما خلق له تماماً كما النجم والشجر لهما سجود والإنسان له سجود والملائكة لها سجود وكل خلق له سجوده وكل خلق له عبادته وتعليم أنوار القرآن كما

جاء في سورة الرحمن سابق عند الله لخلقه الإنسان كما جاء بيان ذلك في سورة الرحمن في قوله تعالى ﴿**الرَّحْمَنُ ۞ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۞ خَلَقَ الْإِنْسَانَ**﴾ (الرحمن: ١: ٣)، والآيات السابقات تجلي أمامنا أن تعليم القرآن عند الله سابق لخلق الإنسان وكل ما سبق في الخلق تعلم من القرآن قبل خلق الإنسان كل خلق وكل أمة كُلٌ أعطاه الله ما يناسب طبيعة خلقه وطبيعة ما خلقه الله له وما يناسب زمانه ومكان إن القرآن الكريم هو الدستور الكامل لعباده المخلوقات لخالقها إنه الكنز الذي جاء لأمه محمد وحدها كاملاً وكان لابد لهذا الكنز أن يبدأ بعد فاتحة الكتاب بأحرف الإعجاز تلك التي جاء فيها قول الله :



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وصف الكتاب:

بدأ وصف الكتاب بالإشارة إليه بالاسم المبهم ذلك وهو الذي يعني الإشارة إلى البعيد والإشارة إلى البعيد هنا تعني الإشارة إلى الكتاب الذي عند الله حيث ما كان بين يدي رسول الله حين نزول سورة البقرة لم يكن كتاباً كاملاً والبعد الذي هنا ليس إلا بعداً في العلا ذلك الذي هو علا المكان وعلا المكانة وعليه جاءت الإشارة إليه بذلك لبعده إنه الكتابالذي جاءت منه الكتب السماوية السابقة كما جاء بيان ذلك في سورة آل عمران﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ**﴾(آل عمران: ٢٣)، وما سبق من الآية ليس معناه إلا أن أنوار كلمات الكتب السابقة هي بعض من أنوار الكتاب الخاتم ونحو هذا الفهم نقول إن الإجماع الذي في الكتاب الخاتم ليس إجماعاً لنصوص ولكنه إجماع لغايات وزيد عليها حيث كل الكتب السابقة تدعو إلى وحدة الله والتدرج في إصلاح النفس البشرية بلغات مختلفة في أماكن مختلفة حتى جاء الكتاب الخاتم من عند أول بيت وضع للناس وجاء الأمر إلى رسول الله في قوله تعالى ﴿**لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا**﴾ (الشورى:٧) وفي ذلك دلالة على مركزية البيت للأرض لعموم الرسالة لكل أهل الأرض وهكذا يكون قد تجلى أمامنا أن كل ما سبق من الكتب السماوية ليس إلا بعضاً من الكتاب الذي أنزله الله على خاتم رسله ووحده هو الكتاب الكامل كما الكتاب عند الله وجاء بيان ذلك من الله إلى رسوله في قوله تعالى:

نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ (آل عمران: ٣، ٤)، وقوله تعالى﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ) ١٨ (صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ**﴾ (الأعلى:١٨، ١٩) وهكذا يمكن لنا أن نعلم أن الصحف الأولى جاء فيها بعض ما جاء في القرآن من غايات ولأن هذا الكتاب هو الكتاب الأوحد الذي جاء مصدقا كاملا للكتاب الذي عند الله فقد تعهد الله بحفظه دون

كل كتاب سبقه كما جاء بيان ذلك من الله في قوله **﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا لـ ذِّكۡ ر وَإِنَّا لَهُ لَحَفِظُونَ ﴾** (الحجر: ٩)، والحفظ هنا جاء لاسم الذكر دون العديد من أسماء القرآن الكريم دلالة على الحفظ الدقيق لكل ما جاء ذكره من ظاهر النص وروح النص ذلك لأنه الدين القيم الذي قال الله فيه لرسوله **﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** (الأنعام: ١٦١). إنه الكتاب الذي جاء فيه طلب الهداية من الله إلى أنواره في فاتحة الكتاب بلفظ الجماعة إهدنا سواء كان القارئ فرداً أم كان جماعة حتى يأخذ الفرد من عطاء الجماعة وتأخذ الجماعة من عطاء الفرد إنها التكاملية العظمى لعلا القرآن الكريم ذلك الذي له العديد من الصفات عند رب العالمين كما جاء في قوله تعالى:

١- **الر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ** (يونس: ١)

٢- **المر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ** (الرعد: ١)

٣- **الر ۚ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ** (إبراهيم : ١)

٤- **وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ اللهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ** (فاطر: ٣١).

٥- **المر ۚ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ ۗ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ** (الرعد: ١)

٦- **إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا.** (الإسراء: ٩).

٧- **فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا.** (مريم: ٩٧).

هكذا نكون قد ذكرنا بعضا من لمحات مدح القرآن الكريم المصدق لما عند رب العالمين في اللوح المكين كما جاء في أول سورة آل عمران **﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّـهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّـهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾** (آل عمران: ٣، ٤)

وما جاء في الآيات السابقات يجلى لنا أن الكتب السابقة فيها الهداية للناس أي الهداية العامة لكن هداية القرآن هنا هي هداية خاصة لقوم خاصة حيث هذه الخاصة لا ينالها إلا من يستحقها من الخاصة إنهم عباد الله المتقين وهذا الأمر كم هو مشابه تماماً لما تم الإشارة إليه سابقاً في إظهار التمييز بين صفة الرحمن وصفة الرحيم وبين عطاء الألوهية وعطاء الربوبية إن عطاء القرآن عطاء خاص لعباد الله المتقين ولرب سائل يسأل. .

وهل الهداية تكون للمتقين أم لغير المتقين؟

وحول ذلك نقول إن السائل سؤاله ثمين والإجابة عنه تأتي مع الحين وهانحن نسأل السائل سؤالاً مقابلاً لسؤاله لتأتي الإجابة من كلامه ونقول له هل يستفيد الأعمى من أنوار المصابيح حوله مهما كان كمها وتأتي الإجابة منه بقوله لا ومن كلامه نقول له إن أنوار القرآن تعيها القلوب وإذا كانت هذه القلوب مختوم عليها فإنها لا يمكن لها أن ترى أنوار القرآن وعن هؤلاء المختوم على قلوبهم قال الله ﴿ **وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْآذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ** ﴾ (الأعراف: ١٧٩)، ومن هنا يتجلى أمامنا أن فقه القرآن يبدأ من القلوب ثم العقول وكما قال الله تعالى في سورة يس في حق الذين جاء لهم القرآن ورسول القرآن ﴿ **إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ** ﴾ (يس: ١١) وهؤلاء الذين اتبعوا الذكر هم أصحاب إيمان الفطرة ويأتيهم القرآن ليعلو فيهم إيمان العقيدة وتطبيقاتها. ولرب يتجلى سؤال آخر، وما علاقة فقه القلوب بفقه العقول، والقلوب لا تضخ إلى العقول غير الدم وفي ذلك نقول للسائل إنك تعرف من الدم طاقته المادية فقط وهو فيه طاقة روحانية لا تراها تماما كما لا ترى الكهرباء فقط ترى طاقتها ولإثبات الطاقة الخفية في الدم نقول إننا أحيانا نجد أن رجلا يحب امرأة ليس فيها من الجمال شيئاً ولكنه لا يحب غيرها ومما سبق نجد أن فقه العقل لا يعلو فقه القلب ذلك لأن القلب هو الذي يمد بالطاقة الروحانية المشغلة سواء كانت خيره أم شريرة والعقل بسيطرته على الحواس يحولها إلى طاقة ملموسة ومؤمني الفطرة وحدهم يعلو فيهم إيمان العقيدة حين تصل إلى قلوبهم أنوار القرآن ولذلك فقط جاء الكتاب هدى للمتقين

دون غيرهم من العالمين لأنهم استحقوا هذا العلا من القرآن ذلك الذي جاء مصدقا لكل ما سبقه من كتب وفي ذلك جاء قوله تعالى لرسوله ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٣) مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ ۗ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ ﴾ (آل عمران: ٣، ٤)،

ما الفرق بين هداية الناس و هداية المتقين؟

كما سبق و ذكرنا القرآن الكريم كنز الله العظيم الذي يهدي به عباده المتقين كما جاء في سورة البقره ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾ (البقره ٢) و لكن الله تعالى في موقع آخر في سورة البقره قال﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (البقره ١٨٥) وهذه الآيه جاء فيها بيان أن القرآن الكريم هدى للناس و هنا يبدو سؤال

هل القرآن الكريم هدى للمتقين كما جاء في بدء سورة البقره أم هو هدى للناس كما جاء و ذكرناه و هذا السؤال ربما يجلي أن هناك تعارضاً بين ما جاء سابقاً و ما جاء لاحقاً عن وصف القرآن الكريم و الحقيقة أن النصين غير منفصلين عن بعضهما البعض حيث كل منهما مكمل للآخر حيث كلاهما يتحدث عن هدايه خاصه بالنص الذي جاءت فيه و سبق و شرحنا النص الأول و كيف أن الهدايه للمتقين دون غيرهم و الحديث هنا عن النص الثاني و النص الثاني يتحدث عن نزول القرآن و ليس روح القرآن و النزول كما نعلم يكون من أعلى إلى أسفل أي أن النزول هنا كان من اللوح المحفوظ إلى بيت العز في السماء الدنيا إلى سيدنا و حبيبنا رسول الله والنزول هنا جاء بأنواره في بيئه مظلمة و عليه فإنه جاء لإجلاء الظلام أي أن النزول هنا جاء عاماً لجميع الناس و هو نزول فرقان كما قال تعالى ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ﴾ (الفرقان ١) وكما قال في الآية الوارده

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ (البقره ١٨٥) و الآية كما جاء فيها أوضحت نوع الهدايه و أنها هداية عامه و أنها بينات من الهدى و الفرقان أي أنها هداية إحلال الأنوار و إجلاء الظلام كما قال تعالى ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾ (الإسراء ٨١) وهذه الأنوار بعظماتها ليست إلزاميه ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾.(الكهف ٢٩) وهذه الهدايه العامه جاءت من الله لكل العالمين لإحقاق وعده ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ (البلد ١٠) لأن الهداية واجبة عند الله قبل الحساب تصديقاً لقوله تعالى ﴿مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ (الإسراء ١٥) و هكذا يكون قد تجلى أمامنا الفرق بين الهدايه العامه للناس و الهدايه الخاصه للمتقين و بذلك يكون نصي الآيتين ليسا إلا نصين متكاملين يخبران عن أصل النور في خلق الإنسان ذلك الذي علم فيه الرسول المعلم يولد المولود على الفطره فأباه يهودانه أو ينصرانه و من هنا جاءت هدايات الله هدايات عامه للناس عامه و هدايات خاصه للمتقين خاصه و ما سبق جاء فيه قول الله تعالى :

ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ﴿٢﴾

وصف المؤمنين

عباد الله المتقين هم عباد الله المؤمنين إنهم الذين يؤمنون بكل ما غيبه الله عنهم خاصة غيب الإيمان وهم يؤمنون بأن الله ما غيب عنهم غيباً إلا لعدم طاقتهم به أو لعدم حاجتهم لبيانه وأن التغييب عنهم هو رحمة من الله بهم وكم من غيبيات في الحياة نؤمن بها أشد الإيمان ولا نراها مثل الهواء، والكهرباء، والملائكة، والجان وكم من غيبيات في حياتنا بيننا وبين بشر أمثالنا لا نعلم عنها شيئا إلا أننا نؤمن بها إيماناً مؤكداً وهانحن في حياتنا نتناول علاج الطبيب بكل دقة رغم عدم فهمنا في عمله وفي صلواتنا نتبع مواعيد علماء الفلك بكل دقة رغم أننا لا نرى في الشروق والغروب شيئا بأعيننا وهذا هو الإيمان حيث الإيمان بالقائل يعني الإيمان والتصديق بكل ما يقول ، وعباد الله المؤمنين هم الذين يؤمنون بكل ما غيبه الله عنهم حيث الإيمان لا يكون بظاهر لأن الظاهر يثبت نفسه بنفسه ولا يحتاج لإيمان به، والطاقة الإيمانية للعبد المؤمن تحتاج إلى شحن دائم لدوام علا إيمانها ودوام صلتها بربها وهذا الشحن يأتي بدوام صلة العبد بربه ودوام صلة العبد بربه تأتي بدوام الصلاة حيث الصلاة صلة بين العبد وربه، وإقامة الصلاة غير أداء الصلاة حيث إقامتها تعني إقامتها على حقيقتها التي شرعها لله عليها وذلك فقط هو الذي يعين مقيمها نحو بغضه للفحشاء والمنكر وإقامة الصلاة في الإسلام دوماً تابع لها إيتاء الزكاة وهذا الإيتاء ليس إلا تصديقاً على صحة إقامة الصلاة حيث إيتاء الزكاة يعني الإنفاق من المال، والمال هو زينة الحياة الدنيا والإنفاق منه بأمر مالكه يعني أن المنفق لا يملك نفسه ولا يملك المال والإنفاق من المال بأمر مالكه يعني التجارة معه وهو خير الرازقين وهذا الإنفاق علم فيه سيدنا رسول الله أنه ما نقصت صدقة من مال بل تزيده بل تزيده، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة لابد أن يأتي تابعاً لهما باقي أركان الإسلام وبذلك تتهذب أخلاق المؤمن ويكون كما كان الرسول في علا أخلاقه تلك التي وصفها في قوله إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق مسند أحمد ٨٥٩٥ إنها التي حين سألت عنها السيدة عائشة قالت كان خلقه القرآن

إنها الأخلاق التي قال فهيا خير الأنام أدبني ربي فأحسن تأديبي ومدح الله رسوله فيها في قوله ﴿ **وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ** ﴾ (القلم: ٤)، والإيمان بالله وخاتم رسله لابد تابع لهما الإيمان بكل الكتب وكل الرسل قبل محمد لأن لها كلها نصيب منه كما سبق شرحه وكما جاء قوله **تعالى آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ**﴾ و الإيمان في الإسلام أعمال تقام لا أقوال تقال و تأكيد ذلك جاء في كل آيات القرآن بتبعيته ذكر العمل للفظ الإيمان (البقرة: ٢٨٥) وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:

ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾

صدق الله العظيم

وصف الكافرين:

كلمة الكفر في اللغة تعني ستر الشيء وستر الشيء يعني الإعلان بوجوده ثم إعلان الإنكار لذلك الوجود وهذا هو حال الكفار حال إعلانهم كفرهم وهاهم كفار مكة وقد كانوا يضعون أصنامهم حول الكعبة إيماناً منهم بقدسيتها وليس هذا فقط بل كانوا يراعون حرمة ما حرمه الله في الأشهر الحرام حتى في عبادتهم للأصنام كانوا يقولون إنها تقربنا إلى الله زلفى وكم سبق كفار مكة في كفرهم أقوام كثيرون وكلهم مهما اختلفت تعبيرات كفرهم يعلنون كفرهم بالله واضحا ذلك لأن الكفر كله ملة واحدة مهما اختلفت أشكاله وكل الكفار يعلنون كفرهم بوضوح دون أي تماكرٍ أو تظاهرٍ منهم ولذلك جاء وصفهم في سورة البقرة في آيتين فقط في حين أن غيرهم من المنافقين جاء بيانهم في تسع آيات والكفار كما سبق في بيانهم فيهم بعض من شفاعات الإيمان إلا أن هذه الشفاعات قد اختلطت بالعديد من النجاسات حتى صارت النجاسة لها عنواناً ساطعاً وكل طهارة تختلط بشيء من النجاسة لا يكون لها عنواناً إلا النجاسة والكفر الذي تم الحديث عنه هو أقصى درجات الكفر ذلك لأنه كفر الملة وكم من صور عديدة أخرى للكفر يعلوها كفر سهل سواده بين الناس ألا وهو كفر النعمة وكثيراً ما نجد هذا الكفر في أقوام ظاهرهم الإيمان بل أحيانا علا الإيمان إنهم لصوص الدعوة وأصحاب المظاهر الإيمانية وما يكون هؤلاء في كفرهم إلا وكما كان قارون قبلهم حيث تراهم ينسبون نعم الله عليهم لأنفسهم وليس إلى الله حباً منهم في الدنيا وزهوها وتراهم دوما وهم يرفعون كلمات الإيمان حول أي كسب يرفع لهم السلطان مهما كان حرامه وتسمح لهم أنفسهم بأن يحرموا ما أحل الله ويحلوا ما حرم الله كل ذلك من أجل أن تزداد ظواهر نعمهم في الدنيا وهذا الكفر كم هو شديد خطره بين أبناء أمة الإسلام لأنه يكون كما السوس ينخر وينخر حتى يجعل الصلب هشا وهؤلاء القلة كثيراً ما تزداد أموالهم بل ويزداد سلطانهم وما ذلك لهم من الله إلا شدة في غضبه لأن الله إذا غضب على عبد رزقه من حرام وإذا اشتد غضبه عليه بارك له فيه إنهم المتأسلمون حاملي ظواهر التقوى في أشكالهم وألسنتهم ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ** ﴾ (إبراهيم: ٢٨)، وما سبق هو كفر النعمة والكافر سواء كان كافراً كفر نعمة أو كفر مله هو في ظلام ذلك لأن الله ختم على قلبه فلا يخرج منه ظلام الكفر ولا تدخل إليه أنوار الإيمان حتى يحين له العذاب من رب الألباب وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧

صدق الله العظيم

وصف المنافقين ومثال منهم:

شاء الله تعالى للعديد من أهل المدينة بدخول الإسلام حتى قبل أن يهاجر إليهم سيدنا رسول الله وبعد الهجرة تدافع عدد المؤمنين تدافعاً كبيراً حتى صار الإيمان عنواناً عاماً لأهل المدينة ولم يكن كل الذين أعلنوا إيمانهم قد سكن الإيمان في قلوبهم بل كان بعضهم قد فعل ذلك تشابهاً مع كلِ غيرهم ومن أمثال هؤلاء كان بعض من يهود المدينة وأشباههم كلهم أعمالهم ظواهرها الإيمان وباطنها الكفر والبطلان وهؤلاء وأمثالهم ما أعلنوا هذا الإيمان إلا ليتمكنوا من محاربة الإسلام بتظليل أنفسهم بظلال الإيمان حيث يمكنهم تماكرهم هذا من محاربة الإسلام من داخله وذلك بمعرفتهم لكل أخبار المسلمين ووضع الدسائس بينهم وهم مهما كان ظاهرهم اللعين تراهم من الله مفضوحين، وهاهي سورة البقرة وقد جاءت إلى سيدنا رسول الله فاضحة له التاريخ الأسود لبني إسرائيل ظل الشيطان في الأرض وإلى يوم الساعة وهاهم دائماً يظنون أن أفعالهم ليست إلا علاً في ذكائهم رغم أنها ليست إلا علاً في غبائهم خاصة لأن الله فاضح لرسوله الخاتم تاريخهم وكل ما تحمله قلوبهم إنهم القوم الذين أمرضوا بأنفسهم قلوبهم فزادهم الله مرضاً على مرضهم وهاهم من شدة مرضهم إذا نصحهم ناصح لنجدهم من فسادهم يأتي منهم بيانهم بأنهم بأفعالهم ليسوا إلا مصلحين وليسوا مفسدين هكذا عميت أبصار هؤلاء وهاهم من شدة مرضهم وقد صاروا يرون الحق باطلاً والباطل حقا وحين يسخر منهم ناصحهم لماذا الحق عندكم ليس كما هو الحق عند كل الناس غيركم كانوا يقولون إن غيرنا ليسوا إلا سفهاء وليس لنا أن نكون مثل السفهاء ألا إنهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون وهاهم وقد أعلنوا سفاهتهم بأنفسهم حيث كانوا أمام المسلمين دوماً متظاهرين بالإيمان المكين وإذا جاء سؤالهم لماذا خفتهم من المؤمنين وأعلنتم أمامهم علا إيمانكم كانوا يقولون نحن لسنا منهم إلا ساخرين وما سخر هؤلاء إلا من أنفسهم لأنهم قوم باعوا الثمين بالرخيص، وهاهما اثنان من أمثالهما أعلنا ظاهر إيمانهما بالمدينة ولم تستطع أحوالهما أن تتداخل مع

أحوال المؤمنين حولهما فقررا الهرب ليلاً من القوم وفي ليلة هروبهما أظلمت عليهما السماء وجاءت برعد وبرق مفزعة لهما فكانا إذا أضاء البرق مشيا في نوره وإذا جاء الرعد وضعا أصابعهما في آذانهما رعباً من صوته وملأ الرعب قلبيهما حتى أدركا خطأيهما وقررا إن نجاهما الله من هذه الليلة المفزعة لعادا إلى رسول الله وصحابته وأعلنا له توبتهما ويحسن منهما إسلامهما وكان أن نجاهما الله وعادا إلى رسول الله وأعلنا توبتهما وحسن منهما إسلامهما هكذا كان كل ما سبق وصف للمنافقين وكل من شابه ما سبق ليس إلا منافقاً أياً كانت معتقداته وأياً كانت ديانته حتى وإن كان مسلماً وها هو وصف من الله لقلوب المنافقين جاء فيه قول الله تعالى في سورة النساء (الآية ١٤٢– ١٤٣)

﴿ انَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً (١٤٢) مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَؤُلاء وَلاَ إِلَى هَؤُلاء وَمَن يُضْلِلِ اللّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً﴾

وهكذا يكون قد تجلى وصف النفاق والمنافقين وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ ۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

التذكير بنعم رب العالمين والاستهزاء بالكافرين

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ
ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ
مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن
كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ
وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ
جَنَّـٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي
رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ
﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ
بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾
ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ
وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ
وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ
ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ
سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾

التذكير بنعم رب العالمين والاستهزاء بالكافرين:

بعد بيان صفات خلق آدم الثلاث وذكر مثال من المنافقين منهم يأتي التذكير بعظيم فضل الله على كل خلق آدم أجمعين وتسخيره لكل ما يلزم حياتهم في السماوات والأرض وهاهي الأرض وقد جعلها الله لخلق آدم مبسوطة والسماء لها مظللة وممولة لها بكل ما يلزمها لبعث الحياة فيها حيث تمد السماء. الأرض بالماء والهواء وأشعة الشمس بل وبكل مصادر الطاقة فيها أي أن السماء للأرض مصدر محول لطاقاتها لتكون مسخرة لبني آدم مذللة لهم طاقاتها حتى تتهيأ أنفسهم لأنوار الإيمان تلك التي كان مسك ختامها من الرسل خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام إنه الذي أرسله الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ورسالته وحده هي التي جاءت معجزة بكل شيء فيها بدءاً من كلماتها وأنوار روحانياتها وإعجازاتها وهاهم كل أهل البلاغة لا يستطيعون الآتيان ولو بآية من مثل آيات القرآن ولكن لماذا لا يعلن هؤلاء إيمانهم وقد تجلى فيهم عجزهم أمام عظمات الله لماذا لا يعلنون إيمانهم بربهم ويسعون إليه نحو نيل ثوابه والابتعاد عن عذابه وهاهو مثل من الله يأتي ساخراً من هؤلاء الذين لم تستيقظ قلوبهم وقد ضرب الله لهم مثلا صغيرا من خلقه ألا وهو البعوضة تلك التي هي رغم صغر حجمها فإنها تحمل كل مقومات حياتها مثل أي خلق آخر غيرها بل وإنها رغم صغرها كثيراً ما يقف الإنسان أمامها عاجزاً فهاهي حين تمتص دمه أو حين تدخل في فتحه من فتحات وجهه أو حين تنقل إليه المرض دوماً يقف أمامها عاجزاً وهاهي نتائج أبحاث علمية تظهر بعضاً من الإعجازات في البعوضة تجليها يحتاج إلى إمكانات معمل كبير وقد تم نشر هذا البحث على الإنترنت وهاهي معلومات البحث تقول بأن البعوضة لها مائة عين في رأسها و ٤٨ سناً في فمها وثلاثة قلوب كاملة في صدرها ولها ستة سكاكين في خرطومها ولكل سكين منها وظيفة كما أن لها ثلاثة أجنحة في كل طرف منها كما أنها مزودة بجهاز حراري كما نظام الأشعة تحت الحمراء وهذا الجهاز يعكس لها لون الجلد البشري في الظلمة ويحوله إلى لون بنفسجي يمكنها من رؤيته كما أنها تمتلك جهاز تخدير موضوعي يساعدها على غرس إبرتها أثناء مص الدم من فريستها وهي لا تمتص إلا الدم الذي يناسبها وهي تحمل جهازا لتمييع الدم حتى يسرى في خرطومها الدقيق كما أن لها القدرة على شم رائحة عرق الإنسان من على مسافة تصل إلى ٦٠ كم والبعوضة يعيش فوق ظهرها حشرة لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة فقط بالعين المجهرية وما مثل عظمات البعوضة هذه إلا كمثل أخر ضربه الله بالذباب

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (الحج: ٧٣) وهاهم بنوا آدم أجمعين وقد خلقهم الله من الطين وقد كانوا فيه ميتين. كما جاء في قوله تعالى ﴿ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ (غافر: ١١) أين عظمات أصحاب الميتات أمام أمثلة صغيرة من عظمات رب الأرض والسماوات إنها ليست إلا هيهات هيهات وما سبق جاء فيه قوله تعالى :

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّمَّا نَزَّلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٩﴾

أحـداث خلـق أدم

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

خروج إبليس من الجنة:

بعد بيان صفات خلق الله في ذرية آدم والذين جاء لهم من الله الكتاب المبين وبيان مثال من المنافقين منهم ومتابعة ذلك بتأكيد عظم نعم الله على كل خلقه منهم وبيان عظيم ثواب الله لهم وشديد عقابه كل ذلك ما كان إلا لمحات من حياة آدم وذريته في الأرض ولعظيم تجلي البيان كان لابد من أن يأتي بيان أصل الخلق الذي جعل الله له الخلافة في الأرض وبيان استخلا ف الله له إنه بيان خلق أدم وبدء استخلافه من الله دون السماوات والأرض والجبال وكلهن قد أبين جميعاً من عظم حمل الأمانة تلك التي رضى بها خلق آدم وذريته معه حتى قبل خلق الله لهم وهم في عالم الذر ومن هذا الرضا جاء استخلاف الله لهم في الأمانة إنها التي تعني أن يكون خلق أدم مصيرا في عبادة الله كما السماوات والأرض والجبال أم يكون مخيراً وله الثواب وله العقاب واختار خلق آدم جهلا منه أن يكون مخيراً وهو الذي في فعله قد ظلم نفسه من عظيم حبه لربه ولذلك أدخر الله له عنده من رحماته المائة تسعاً وتسعون رحمة وأرسل إلى كل خلقه رحمة واحدة يتراحمون بها وسخر كل من لم يرضَ بحمل الأمانة لتذليل حياة خلق أدم وذريته لأنه من شده حبه لربه وجهله رضى بحمل الأمانة فكان له من الله أن لاحقته رحماته ليتفرغ للأمانة وبدأ كلام الله عن خلق آدم في سورة البقرة بقوله تعالى (وإذ) وهذا البدء له من المعنى ماله حيث البدء بإذ عن الخلق يعني الحديث عن زمن الخلق وسبقه بالواو يعني عطفه على خلق سبقه حيث كان خلق آدم عند الله هو آخر ما خلق الله في كونه وكان تأخير خلق آدم عند الله على كل ما سبقه ليس إلا لعلاه عند ربه تماما كما كان محمد أحب رسل الله إليه فجعله خاتمهم ليكون مسكهم وأخبر الله ملائكته بنية خلقه خليفة في الأرض وكان هذا الإخبار من الله للملائكة لأنه سوف يكون لها مع هذا الخلق تكليفات فمنهم من سيكون مكلفاً معه بالرسالات ومنهم من سيكون مكلفاً معه بالأرزاق ومنهم من سيكون مكلفاً معه بالأعمار إلى غير ذلك من عديد التكليفات وجاء الإبلاغ من الله لملائكته في قوله **تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** (البقرة: ٣٠)، وفور علم الملائكة بهذا الخبر جاء منها تساؤلاتها لربها: **﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾** (البقرة: ٣٠)، ولرب قاصر يفهم تساؤلات الملائكة بما هو

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ
وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ
مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمۡ ءَامِنُواْ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُۗ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ
وَلَٰكِن لَّا يَعۡلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا
مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسۡتَهۡزِئُ بِهِمۡ وَيَمُدُّهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ
ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا فَلَمَّآ أَضَآءَتۡ مَا حَوۡلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمۡ وَتَرَكَهُمۡ فِي ظُلُمَٰتٖ لَّا
يُبۡصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡيٞ فَهُمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ
وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿١٩﴾
يَكَادُ ٱلۡبَرۡقُ يَخۡطَفُ أَبۡصَٰرَهُمۡۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوۡاْ فِيهِ وَإِذَآ أَظۡلَمَ عَلَيۡهِمۡ قَامُواْۚ وَلَوۡ شَآءَ
ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمۡعِهِمۡ وَأَبۡصَٰرِهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٠﴾

ليس في تســـاؤلاتهـا كـأن يفهم مثلا بـأن حديث الملائكة عن خلق لم يخلق بعد ليس إلا حديث غيبة واتهام من الملائكة لهذا الخلق بأنه سوف يكون خلقاً مفسداً وما لذلك الفهم القاصر من مكان حيث حب الملائكة لربها كان هو دافعها نحو تساؤلاتها لأنها لا تحب أن ترى معصية لله مثلما حدث من خلق الجان من قبل والملائكة عند الله علمها محدود ومن هذا العلم المحدود جاء كلامها عن الخلق الجديد بالقياس على الخلق الذي سـبقه وأنه سـوف يكون خلقاً مفسـداً مثل سابقه كما أن قول الملائكة ونحن نسـبح بحمدك ونقدس لك ليس فيه مدح من الملائكة لنفسـها ولكن الملائكة خشـيت أن يكون في تسبيحها وحمدها لله تقصيراً فيخلق الله خلقاً آخر ليكمل به تقصيرها ولعلم الله بأن الملائكة ما دفعها نحو ما سبق إلا محدودية علمها وعظيم حبها لربها وعليه كان قول الله إليها﴿ **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَـبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ**﴾ (البقرة: ٣٠)، وهو قول فهمت منه الملائكة أنها قد تجاوزت حدود علمها فأسرعت الملائكة إلى البيت المعمور في السـماوات وظلت تطوف حوله مسـتغفرة لربها حتى وصـل عدد طوافاتها إلى ســبع وقال الله للملائكة يا ملائكتي إني قد غفرت لكم أبنوا لي بيتاً في الأرض لأغفر للخلق الجديد كما غفرت لكم وكان البيت الحرام أسـفل البيت المعمور في الســماوات، والبيت الحرام قال الله فيه ﴿ **إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِـعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ**﴾ (آل عمران: ٩٦)، وكلمة وضع هنا تؤكد أن الـذي وضـــع البيـت للناس هم خلق من غير الناس إنهم الملائكة وحان عند الله خلقه لأدم وكان ذلك في يوم الجمعة ذلك الذي قال فيه سـيدنا رسـول الله خير يوم طلعت فيه الشمس هو يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج منها و لا تقوم الســاعه إلا في يوم الجمعه (صـحيح مســلم ١٤١١) ولأن هذا اليوم هو خير يوم عند الله فقد أدخره الله عنده ليكون عيداً أسبوعياً لخير أمة أخرجت للناس تلك التي مدحها الله في قوله ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِـقُونَ**﴾ (آل عمران: ١١٠)، وبدأ عند الله خلقه آدم ولم يكن بدء خلق الله لآدم كما كل خلق ســبقه حيث كل ما ســبقه كان فقط يخلق بأمر الكينونة كن فيكون ولكن هذا الخلق جاء خلق الله له بالتكريم وقد جعله

الله دون كل خلقه على صـفاته كما قال الحبيب المصـطفى إن الله خلق أدم على صـورته أي على صـفاته وهاهو خلق أدم وقد جاء من الله عالماً، قادراً، متكلماً، سميـعاً، بصيراً، مدبراً، حليماً وحين خلقه كان إن خلقه الله بيديه ونفخ فيه من روحه ثم جاءه أمر الكينونـة وتبعـه الأمر للملائكـة بالسـجود لعظمات خلق الله فيه وهو حدث لم يحدث لخلق غير خلق آدم وما جاء هذا التكريم من الله لهذا الخلق إلا لأنه سـوف يكون منه أحب خلقه إليه إنه الحبيب الذي جعل الله اسـمه عند عرشـه وفي كل كونه تابعاً لأسـمه لا إله إلا الله محمد رسـول الله إنه أعظم خلق الله حمداً لله ولأنه كذلك فقد جعل الله اسـمه في السـماوات احمد وجعله بين خلقه في الأرض محموداً منهم فأسماه بينهم محمد، ومحمد على وزن معظم، والمعظم يعظمه الناس ومحمد يحمده الناس هكذا نعلم أن الله قد كرم خلق آدم على سـائر خلقه لأنه الخلق الذي سـوف يكون منه أحب خلقه إليه محمد وادخر الله لخلق أدم عنده من رحماته المائة تسـعاً وتسـعون رحمة وأرسـل إلى كل خلقه رحمة واحدة يتراحمون بها وكيف لا وهو الخلق المكرم من رب العالمين كما علمنا رسـولنا الأمين في قوله إن الله خلق آدم من سـلالة من طين وسـلالة الطين أي علا طهارة الطين وقال سـيدنا رسـول الله في ذلك إن الله خلق أدم من قبضـة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض فجاء منهم الأبيض والأحمر والأسـود وبين ذلك والخبيث والطيب والسـهل والحزن وبين ذلك(مسندأحمد ١٨٨١٣) ولرب سـائل يسأل هل جاء خلق آدم من الماء أم من التراب؟ وفي ذلك نقول إنه جاء من التراب الذي خُلق من الماء وحين وصـلت الروح إلى رأس آدم حين الخلق عطس فقـالـت لـه الملائكـة قل الحمد لله وكان ذلك أول ما نطق به آدم وهو نفسـه الذي بدأ به القرآن بعد البسـملة وهو نفسـه الذي تبدأ به الصـلاة بعد التكبير والاستعاذة وهذا الحمد مدخر عند الله لأمة الإسلام دون كل غيرها من الأمم تماماً كما ادخر لهم يوم الجمعة ذلك الذي كان فيه خلق آدم وبعد أن خلق الله آدم أراد أن يعلم به الملائكة درسـاً فعلم آدم الأسـماء كلها، والأسـماء هنا تعني الأسـماء التي تأتى منها كل الأسماء وجاء قول الله للملائكة ﴿ **وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ (البقرة: ٣١)، أي إن كنتم صادقين فيما قلتموه من قبل عن هـذا الخلق والملائكـة تعلمـت من قبـل ألا تتجاوز حدود علمها فجاء منها قولها لربها ﴿ **قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾ (البقرة: ٣٢)، وبدأ قول الملائكة سبحانك أي تعظيم وتنزيه منها لله وإعلان منها بأنه لا يمكن لها أن تعلم ما لم يعلمها الله وبعد اعتراف الملائكة بقصورها جاء قول الله

لآدم ﴿ **قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ**﴾ (البقرة: ٣٣)، وجاء قول الله لآدم هنا بالإنباء بما تعلم وليس بالتعليم لأن العالم هو الله وأنبأ آدم الملائكة بالأسماء فجاء قول الله لملائكته في قوله تعالى: ﴿ **قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ۖ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ** ﴾ (البقرة: ٣٣)، هكذا علم الله الملائكة بخلق آدم درساً وهو أن كل مخلوق عند الله هو فقط لما خلقه الله لــه وهكذا رأت الملائكة في خلق آدم عظيم تعليم الله له بعد عظيم تكريمه بخلقه بيديه ثم نفخه فيه من روحه وعلى ما سبق جاء قول الله لملائكته اسجدوا لآدم والسجود هنا ليس لزوماً له أن يكون سجودا كسجود خلق آدم بوضع الجبهة على الأرض حيث أن لكل خلق سجوده ولكل خلق عبادته بطريقة تناسب خلقته ونحن نعلم قول الله تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ** ﴾ (الحج: ١٨) وقول الله تعالى: ﴿ **وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ** ﴾ (الرحمن: ٦)، وهذا السجود كله ليس لازماً له أن يكون كما سجود خلق آدم ولكن السجود على كل هيئاته يعني معنىً واحداً ألا وهو الإقرار والتطامن ونحن في حياتنا حين نشاهد عملاً عظيماً سرعان ما نصفق له ونحييه وما تلك التحية بتعظيم للعمل نفسه ولكنها تحية إقرار وتعظيم لعظمة صانعة فيه، وهكذا كان سجود الملائكة لخلق آدم سجوداً لعظمة خلق الله فيه وبعد أن رفعت الملائكة من سجودها وجدت أمامها كارثة عظيمة إن إبليس لم يسجد معها كما هو حاله منذ صعوده معها إلى السماوات إن الملائكة دوماً أئمته وهو دوماً فاعل لكل ما يفعله أئمته ولكن الآن لماذا لم يسجد إبليس مع أئمته ولم تصدق الملائكة ما هو أمامها فظنت الملائكة لإبليس عذراً وأعادت سجودها ثانية إنه السجود الذي جعله الله في صلوات المسلمين شرعاً لهم حيث أن سجودهم في صلواتهم يكون سجدتين وبعد أن رفعت الملائكة من سجودها الثاني وجدت أن الكارثة أمامها قد ازدادت حجما إن إبليس لم يسجد معها في سجودها الثاني وهاهي الملائكة لا تعلم ظلام قلب إبليس لأنها لا تعلم الغيب ولا تعلم من الأمر إلا ظاهره وجاء

من الله فضح لظلام قلب إبليس أمام الملائكة وقد سـأله الله عن سـبب عدم سجوده مع الملائكة والأمر لـــه كما هو للملائكة وجاء رد إبليس فاضحاً ظلام قلبه بنفسه وقد قال لربه

﴿ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (ص: ٧٦)، أي خيرية هذه التي أوهم إبليس نفسه بها ومن أين جاء بها أليس التراب له العلا على النيران وهو الذي يخمدها أليست الملائكة وهي المخلوقة من نور قد سجدت لخلق آدم فلمن إذن تكون الخيرية إن عدم سجود إبليس لا علاقة له بالخيرية وما كان ذلك منه إلا ظلمات قلبية وشرور حسدية يحملها إبليس في قلبه لآدم من عظم فضل الله عليه دون كل خلقه واستخلاف الله له في الأرض التي كان عليها إبليس تلك التي حارب عليها إبليس قومه حين قاتلتهم الملائكة فكيف يستخلف الله على الأرض خلفاً غيره وجاء أمر الله لإبليس بالخروج من **الجنة ﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٧٧) وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾** (ص: ٧٧- ٧٨)، وحين خروج إبليس من الجنة إلى السماوات جاء منه قوله لربه **﴿ قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا﴾** (الإسراء: ٦٢)، إنه قول يؤكد أن كراهية إبليس لآدم ليست إلا بسبب تفضيل الله لخلق آدم على كل خلقه وجاء خروج إبليس من الجنة وجاء منه القول **﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾** (ص: ٨٢)، وحين خروج إبليس من الجنة طلب من ربه أن ينظره عمراً إلى يوم البعث وكان هذا الإنذار من الله لإبليس لأنه عند الله من اختبارات الأمانة لخلق آدم وتعهد إبليس حين خروجه من الجنة بالانتقام من آدم وذريته **﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ﴾** (ص: ٨٢: ٨٣)، وأعلن إبليس خطته في كيفية الانتقام **﴿ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴾** (النساء: ١١٨: ١١٩)، وهكذا جاء خروج إبليس من الجنات إلى السماوات

وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:

وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾

خروج آدم من الجنة:

بعد خروج إبليس من الجنة عاش فيها آدم وحيداً ينعم بنعيمها وحان عند الله أن يخلق لآدم من نفسه زوجة تؤنس وحدته وتكون أماً لذريته وخلق الله لآدم حواء من أحد أضلع صدره ووجد آدم حواء بجواره مخلوقة جميلة وكيف لا تكون جميلة وآدم خلق من صفوة التراب وهي خلقت من ضلع حي في صدر آدم أي إنها خلقت من صفوة الصفوة فجاء خلقها جميلاً وجاء صدرها حنونا كل ذلك تهيئة لما خلقت له ووجدت الملائكة أن عظيم فضل الله على آدم قد ازداد فضلاً ولكن هل يعلم آدم اسم هذا المخلوق الجديد وهو مخلوق لم يكن موجوداً حين علم الله آدم الأسماء وفكرت الملائكة في اختبار آدم فجاء سؤالها إليه ما هذه يا آدم فقال لهم امرأة فقالوا له ولم امرأة يا آدم فقال لهم لأنها خلقت من امرئ فقالوا له وما اسمها يا آدم فقال لهم حواء فقالوا له ولما حواء يا آدم فقال لهم لأنها خلقت من شيء حي تماما كما هو آدم لأنه خلق من أديم الأرض

أي من ترابها وحاول آدم أن يقترب من حواء فمنعته الملائكة فسألهم آدم عن سبب المنع فقالوا له أمهرها أولاً يا آدم فقال لهم آدم وبماذا أمهرها وأنا لا أملك شيئاً فقالوا له بالصلاة على محمد فقال لهم آدم ومن محمد فقالت له الملائكة هو من ذريتك ولولاه ما خلقت وهكذا يكون ما سبق قد جلى أمامنا عظيم تكريم الله لخلق حواء منذ بدء خلقها حيث بدأ تكريمها منذ بدأ خلقها من صفوة الصفوة من ضلع في صدر آدم وهي خلقت في الجنة كما خلق آدم في الجنة وفي ذلك قال الله تعالى **﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيراًوَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾** (النساء: ١)، وبدأت السعادة في حياة آدم تزداد سعادة وقد خلق الله له من نفسه زوجه تؤنس وحدته وتكون أما بعد ذلك لذريته وجاء قول اله تعالى: **﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** (البقرة: ٣٥)، هكذا جاء أمر الله للقائد آدم ليقود حواء حيث يأمر الله وما ذلك إلا رحمة من الله بحواء بتحميل مسئولية القيادة لآدم وجاء الأمر لآدم بالسكن، والسكن من السكينة والسكينة تعني التوقيت وليس الدوام وبدأت حياة أدم في سكن الجنة كما أمره الله بعيداً عن الاقتراب من الشجرة تلك التي منعه الله منها وكانت سعادته تزداد سعادة بعد سعادة وإبليس خارج الجنة يزداد اشتعالاً بعد اشتعال وهو لا يجد أمامه ما يوسوس به إلى آدم ليفعل ما يغضب الله عليه وأخيراً وجد إبليس أنه ليس أمامه سوى طريق واحد إنه طريق الشجرة إنه لابد له أن يوسوس لآدم ليأكل من الشجرة فكان أن وسوس إبليس إلى آدم بذلك كثيراً وكان يقول له إن الله ما منعه الأكل من هذه الشجرة إلا لأنها شجرة الخلد والأكل منها يديم لآدم قربه من ربه وقربه من نعمه وظل إبليس لآدم على هذا الوسواس عديداً من المرات وفي كل مرة لا يجعل آدم لوسواس إبليس آذانا صاغية حتى يئس إبليس من آدم ولم يعد أمامه إلا طريقاً واحداً إنه طريق القسم الكاذب مع الوسواس خاصة بأن آدم متأكد أنه ليس بعد القسم كذب **﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾** (الأعراف: ٢١)، إنها الخديعة الكبرى لأنه لو كانت الشجرة شجرة الخلد لأكل منها إبليس وهو بالجنة ولم يقل لربه حين خروجه ربي أنظرني إلى يوم يبعثون ولكن قسم إبليس وكثرة وسواسه أظهر في آدم ضعفه ونسى آدم كل ما أنذره به ربه ﴿ **وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** ﴾ (طه: ١١٥)، والإنسان ما سمى إنسانا إلا من نسيانه

وبدأ آدم في اختباره لقسم إبليس إن آدم يحب دوام قربه من ربه ودوام السعادة بنعيم جناته واقترب آدم من الشجرة ومعه حواء ولم يحدث لهما شيء فبدأ تصديق إبليس يعلو في آدم وحواء فأخذا من ثمار الشجرة وأكلا منها وعلى الفور بدت لهما سؤاتهما وزحفت الشهوات إلى جسديهما وكأن هذه الشجرة هي من شجر الدنيا وتدافع آدم وحواء نحو ورق الشجرة ليسترا سوءتيهما ولكن هذه سوءة الجسد ويمكن أن يتم سترها بورق الشجرة فكيف يتم ستر سوءه الروح وقد زحفت الشهوات الدنيا إلى روحيهما وبدأت هذه الشهوات تنعكس على جسديهما إنهما أصبحا أصحاب شهوات دنيوية دنية وسوف يكون لهما خوارج وشهوات مادية وجنسية، والجنة ليست مكاناً لكل ذلك إنها مصيبة كبرى وهاهما وقد أدركا أنهما قد وقعا في مكيدة إبليس فاستغفرا ربهما وكان الحدث كما تقصه علينا الآيات **﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ ﴾** (الأعراف: ٢٢-٢٣)، وجاءت رحمة الله لهما في قوله تعالى **﴿ ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾** (طه : ١٢٢)، أي أن استغفار آدم لربه كان منه بعد أن اجتباه الله وهداه إلى صيغة الإستغفار تلك التي أحبها عمر بن الخطاب و كان دائم الجهر بها و هي (سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت) هكذا كان بدء استغفار آدم قوله سبحانك وهو قول يعني التعظيم والتنزيه لله على كل ما سواه وعقب التسبيح جاء لفظ الجلالة الدال وحده على الذات والدال وحده على الصفات لرب الأرض والسماوات وتبعه الحمد لله على عظيم فضله ونعمه وعليه نجد أن استغفار آدم بدأ بالتسبيح ثم الحمد وتبارك الاسم وتعالى الجد ثم توحيد الألوهية وطلب الاستغفار ولذلك غفر له ربه وهداه وهكذا يكون آدم قد تعلم في الجنة ما أراده الله له أن يتعلمه فيها استعداداً لتلقية الخلافة تلك التي خلقه الله من أجلها ولم يعد بعد ذلك لآدم مكان في الجنات ولا لإبليس مكان في السماوات وجاء قول الله لهما وهما فريقا الخير الشر حيث آدم وحواء فريق الخير وإبليس فريق الشر والأمر جاء لهما في قوله تعالى **﴿ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** (البقرة: ٣٨)، هكذا جاء هبوط آدم وحواء إلى الأرض ومعهما عدوهما إبليس وبعد هبوط آدم إلى الأرض كان أسوداً من ذنبه فأوحى الله إليه بصيام الثالث عشر فصامه فأبيض ثلثه ثم أوحى إليه بصيام الرابع عشر فصامه فأبيض ثلثه الأخر ثم أوحى إليه بصيام الخامس عشر فصامه فأبيض كله وسميت تلك الأيام بالأيام البيض. وصار هذا الصيام سنة لأمة خاتم المرسلين وهدى الله آدم

نحو البيت العتيق ذلك الذي هو أول بيت وضع للناس وآدم أول الناس إنه البيت الذي وضعته الملائكة تحت البيت المعمور في السماوات، ويرشدنا حديث السيدة عائشة عن بدء طواف آدم حول البيت وماذا كان منه وقد قالت السيدة عائشة عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أراد الله أن يتوب على آدم طاف بالبيت سبعاً والبيت يومئذ ربوة حمراء فلما صلى ركعتين استقبل البيت وقال اللهم إنك تعلم سري وعلانيتي فأقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤالي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً صادقاً حتى أعلم إنه لن يصيبني إلا ما كتبت لي فأوحي الله إلى آدم أني قد غفرت لك ذنبك ولن يأتي أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به إلا غفرت ذنبه وجاءته الدنيا وهو لا يريدها هكذا كان بدء حياة آ دم على الأرض بدءاً شديد البياض شديد الطهارة وبدأ تلقي آدم للخلافة وذريته من بعده وتتابعت رحمات الله لذرية آدم وقد أرسل الله له منهم رسلاً يهدونهم إلى صراطه المستقيم وحذر الله ذرية آدم من كيد الشيطان الرجيم في قوله تعالى: ﴿ **يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**) ٢٦ (**يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا ۗ إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ** ﴾ (الأعراف : ٢٦ – ٢٧)، هكذا جاءت رحمات الله لذرية آدم بتحذيرهم من عداء الشيطان تماما كما كان إنذار الله لآدم في جنات النعيم وهكذا تكون ذرية آدم قد هداها الله إلى النجدين ليكون منهم سعيهم في حياتهم نحو رضا ربهم رب كل العالمين والفوز منه بجنات النعيم والنجاة من نار الجحيم كما قال تعالى ﴿ **وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ -قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً -قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ** ﴾ (طه: ١٢٤: ١٢٦)، وذلك هو جزاء العاصيين أما المتقين فتزدلف لهم جنات النعيم وأهلها يأتون آدم ويقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فيقول لهم وهل أخرج أبويكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم وهاهو قول آدم لآهل الجنة يوم القيامة يجلى أمامنا أن آدم هو الذي كان مسئولاً عن الخطيئة في الجنة وليست حواء كما يزعم بذلك الزاعمون ويستفتح خير خلق الله الجنة كما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام (أنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حله من حلل الجنه ثم أقدم عن يمين العرش ، ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري) سنن الترمذي ٣٥٤٤ هذه هي جنة

الخلد التي يستفتحها خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام وهي نفسها التي جاء وصفها في كل ما ورد عن أحداث خلق آدم سواء في القرآن أو الأحاديث ويمكننا إيجاز لمحات بسيطة لتأكيد ذلك من آيات القرآن الكريم وأحاديث خاتم المرسلين حيث الجنة التي خلق الله فيها آدم كان من صفاتها في القرآن الكريم أنها جنة ليس فيها شقاء وليس فيها جوع وليس فيها عرى وكل ما ورد ليس إلا صفات جنة الخلد ولا توجد في أي مكان آخر في الكون وآدم وحواء لم تُبدلهما السوءة إلا بعد أن أكلا من الشجرة وذهبت عنهما أنوار الروحانية تلك التي كانت السوءة بها خفية ويقول البعض دون أي سند لهم من الكتاب أو السنة بأن هذه الجنة لو كانت جنة الخلد لخلد فيها آدم وحواء ولم يخرجا منها ولا أدري من أين لهم هذا الاجتهاد ورسول اله أعلن في حديثه عن بدء الخلد في جنات النعيم وأنه لن يبدأ إلا بعد الحساب فقط وحين نيل الثواب أو العقاب حيث جاء في حديث لسيدنا رسول الله(يؤتى بالموت على هيئة كبش أملح ، فينادي منادٍ يا أهل الجنه فيشربون و ينظرون ،فيقول هل تعرفون هذا ، فيقولون نعم هذا الموت ، و كلهم قد رآه ، فيذبح ثم يقول يا أهل الجنه خلود فلا موت ، و يا أهل النار خلود فلا موت ثم يقرا ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾) (صحيح البخاري ٤٣٦١) أي أن كلمة الخلود نفسها معناها عدم الموت وذلك أمر لا يكون إلا بعد البعث ولو كانت الجنة التي أخرج الله منها إبليس هي غير جنة الخلد لما كان ذلك عقاباً لإبليس ولما ترصد إبليس بما ترصد به من انتقام من آدم وذريته وأنه سوف يقعد للصالحين منهم عند كل صراط مستقيم وأنه سوف يأتيهم من كل ما حولهم عدا فوقهم حيث السماء فوقهم قبلة الدعاء وعدا تحتهم حيث مكان سجودهم ذلك الذي يكون العبد فيه أقرب ما يكون إلى ربه وفي حمايته إنه السجود الذي قال فيه سيدنا رسول الله لأبي فاطمه الأسدي (يا أبا فاطمه ،إن أردت أن تـلقاني فأكثر السجود)(مسند أحمد ١٤٩٧٨) و هكذا يكون كل ما سبق مؤكداً بأن الجنة التي كان فيها إحداث خلق آدم ليست إلا جنة الخلد أما جنات الدنيا كلها فكلها لم ولن يخرج منها إبليس لأنها أرض خصبة لوسواسه الخناس **وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:**

وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا
تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا
فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ
هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾

يَـٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِىٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّـٰىَ
فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ
بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ
تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞ أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ
وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾ وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا
لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَـٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَـٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَـٰبَنِىٓ
إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّى فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَـٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا لَّا
تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٍ شَيۡـًٔا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٌ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ
﴿٤٨﴾ وَإِذۡ نَجَّيۡنَـٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ
وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ
فَأَنجَيۡنَـٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً ثُمَّ
ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَـٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ
لِقَوۡمِهِۦ يَـٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ
أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾ وَإِذۡ
قُلۡتُمۡ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾
ثُمَّ بَعَثۡنَـٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٦﴾ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا
عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقۡنَـٰكُمۡ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ
يَظۡلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَـٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدًا وَٱدۡخُلُواْ
ٱلۡبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَـٰيَـٰكُمۡ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُواْ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمۡ فَأَنزَلۡنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجۡزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ
يَفۡسُقُونَ ﴿٥٩﴾

۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا
عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۖ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى
ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ
لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ
ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ
ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ
صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا
مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾
ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾
وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا
نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ
يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ
﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ
بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ
يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا
هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا
ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ
فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ
تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٧٤) ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ (٧٥) وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ (٧٦) أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ (٧٧) وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ (٧٨) فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ (٧٩) وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَةٗۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدٗا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ (٨٠) بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٨١) وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ (٨٢) وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ (٨٣) وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَكُمۡ لَا تَسۡفِكُونَ دِمَآءَكُمۡ وَلَا تُخۡرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ ثُمَّ أَقۡرَرۡتُمۡ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ (٨٤) ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ وَتُخۡرِجُونَ فَرِيقٗا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمۡ تَظَٰهَرُونَ عَلَيۡهِم بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَإِن يَأۡتُوكُمۡ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمۡ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيۡكُمۡ إِخۡرَاجُهُمۡۚ أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفۡعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمۡ إِلَّا خِزۡيٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلۡعَذَابِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ (٨٥) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ (٨٦)

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ ۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْـَٔلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلْكُفْرَ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾

بَلَىٰ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿١١٥﴾ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۖ وَلَا تُسۡـَٔلُ عَنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡۗ قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم بَعۡدَ ٱلَّذِي جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

تقديم عن بني إسرائيل وموسى الكليم

بدء موسى وبدء بني إسرائيل:

بعد بيان صفات خلق الله الثلاث في خلق آدم ثم بيان خلق آدم يأتي بيان عن قوم من صفات خلق الله طال بيانهم في الإيجاز ويطول بيانهم في السرد إنهم بذور النفاق والفساد في الأرض وإلى يوم القيامة إنهم بنوا إسرائيل في سورة البقرة إنهم وحدهم الذين جاء بيانهم في القرآن مطولاً إنه في ثلاث وثمانون آية في سورة البقرة وحدها ويبدأ بيانهم بنداء خاص بهم وينتهي أيضا بنفس النداء دلالة على أنهم لم يصلهم من معاني النداء شيئا مع أن ندائهم فيه العديد من دلالات إيقاظ القلوب وإلهامها لرشدها لكن مع هؤلاء القوم هيهات هيهات أن يهبوا من الثبات عن عظيم المنكرات وهاهو نداؤهم يبدأ بقول الله لهم يا بني إسرائيل وهو نداء لهم فيه التذكير بأنهم أبناء نبي الله يعقوب وهم الذين واعدوه عند موته أن يكونوا مسلمين لله على ملة أبيهم إبراهيم وفي ذلك جاء قول الله: ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَـٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾** ﴾ (البقرة: ١٣٢: ١٣٣)، هكذا واعد القوم أبيهم يعقوب بأن يكونوا على ملة إبراهيم تلك التي ما جاءت من الله إلا وهي حاملة لأنوار الإسلام وامتدت حتى كان مسك ختامها رسالة خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام فأين هؤلاء القوم من عهدهم مع أبيهم يعقوب ذلك الذي أسماه قومه إسرائيل من عظيم صلاحه حيث كلمة إسرائيل تعني عندهم كلمتين الأولى (إسرا) بمعنى الصفوة، والثانية (ئيل) بمعني الله فيكون الجمع لهما في لغتهم صفوة الله هكذا كان وصفهم لأبيهم يعقوب فأين هم من صلاح أبيهم إن أبيهم كما قالوا عنه هو صفوة الله وصفوة الله ليس فيها نفاق وما دام الأمر كذلك فلماذا أمرض هؤلاء أنفسهم بمرض النفاق الخبيث ذلك الذي زاد من غضب الله عليهم حتى زادهم الله على مرضهم مرضاً ومرض النفاق عند هؤلاء القوم ليس مرضاً مكتسباً أو فرضته عليهم ظروف الحياة بل إنه مرض قابع فيهم منذ بدء حياتهم مع أبيهم يعقوب وأخيهم يوسف ورغم كل شرورهم هذه ماذا كان لهم من أبيهم يعقوب حين طلبوا منه المغفرة بعد أن فضحهم الله كما تقص علينا الآية في سورة يوسف

﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ (يوسف:٩٧: ٩٨)، وعلى نفس العفو كان معهم أخيهم يوسف وقد كان منه ما تسرده الآية ﴿ قَالَ لَا تَثۡرِيبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَۖ يَغۡفِرُ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾ ﴾ (يوسف: ٩٢)، ولكن هل أطفأت هذه المعاملة الحسنة نيران الفساد في قلوب هؤلاء القوم كلا وألف كلا فقط كانت شعلة الفساد تنخفض شعلتها وتظل خامدة في قلوبهم وكلما يحين لها زمان للظهور سرعان ما تكون، وهم هكذا في كل حياتهم وإلى يوم الساعة وهاهم وقد استقدم أخوهم يوسف أهله جميعاً لاستضافتهم للحياة في مصر مبعداً لهم عن شبح المجاعة ذلك الذي كان يحاصرهم وأكرمهم أهل مصر أشد الإكرام لأنهم آل يوسف واستمر إكرام المصريين لهم حتى بعد وفاة يوسف فماذا كان من هؤلاء القوم مع مكرميهم ومستضيفيهم من أهل مصر لقد كانوا في علا حقدهم عليهم وهاهم وقد تحالفوا مع الهكسوس الذين احتلوا مصر وجعلوا من أنفسهم لهم سيفا مسلطا على رقاب المصريين وما أن تحرر المصريون من احتلال الهكسوس لبلادهم حتى صبوا على بني إسرائيل عذابهم فاستحلوا أموالهم ونسائهم وصار بنو إسرائيل عبيداً لهم ولم يكن كل بني إسرائيل على هذا الفساد حيث كان منهم قلة صالحون وكانوا دائمي الدعاء لله بأن ينقذهم وقومهم من عذاب المصريين لهم وكان لدعائهم عند الله إجابة وقد اختار الله له رسولا من بينهم ليكون سبباً في إجابة الله لدعائهم وجاء ميلاد هذا الرسول وكان فرعون مصر حينها يقتل المواليد الذكور من بني إسرائيل لكن إرادة الله تعلو كل خلقة فها هي أم موسى وقد كانت خائفة على أبنها من قتل الفرعون له وجاءها من الله الاطمئنان في قوله تعالى: ﴿ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٧﴾ فَٱلۡتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرۡعَوۡنَ لِيَكُونَ لَهُمۡ عَدُوّٗا وَحَزَنًاۗ إِنَّ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُواْ خَٰطِـِٔينَ ﴿٨﴾ ﴾ (القصص: ٧: ٨) ، هكذا جاءت طمأنه الله لأم موسى بل وتبشيرها بأن ابنها سوف يكون رسولاً لله ولأن هذه الأم أم مؤمنة بعظمات الله فكان من خوفها على ابنها أن ألقته في اليم كما أمرها الله وهو فعل لا يمكن لأي أم أن تفعله إلا أن علا إيمان أم موسى دفعها لطاعة أمر ربها وما أعظم الشبه بين رضا إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل وبين إلقاء أم موسى لموسى في اليم إن أوامر الله في مثل هذه الاختبارات ليس لعقل أن يدركها لأنها تكون من علم الغيب عند الله وما على العبد حينها إلا السمع

والطاعة وهاهي بشائر علم الغيب لموسى الرضيع بعد أن ألقته أمه باليم وقد التقطه أل فرعون ليعيش حياة أبناء الملوك ولا يكون له من الله مرضعة إلا أمه إنه غيب الله وعلا إرادته واستمرت حياة موسى في قصر الفرعون بكل عظماتها حتى بلغ موسى أشده ومع بدء هذا الحين كان هناك بدءا جديدا في حياة موسى وهو ما تقصه علينا الآيات: ﴿ **وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى فَٱغْفِرْ لِى فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾** ﴾ (القصص: ١٨ – ٢١)،

هكذا كان بدء حياة موسى بعد أن بلغ أشده إيماناً شديداً في قلبه يصارع به وسوسة الشيطان وإيماناً شديداً في قلبه دفعه نحو مسارعته في الاستغفار وكل الإيمان كان في قلب موسى رغم أن حياته بدأت بعد ولادته في قصر الفرعون قصر الكفر والضلال ولكن ظلمات الكفر في قصر الفرعون لم تستطع أن تغطي أنوار الإيمان في قلب موسى وتجلي ذلك من موسى واضحاً بعد أن اتبع موسى وسوسة الشيطان وقتل رجلاً من أقباط مصر وحينها لم يستوعب قلبه فعلته وأسرع إلي ربه مستغفراً ومتعهداً بأن لا يكون بعد ذلك ظهيراً للمجرمين وقبل الله من موسى استغفاره وتوبته وأرسل إليه من أهله من يأمره بالهجرة خارج البلاد لأن أهلها تعهدوا بقتله وخرج موسى تائباً ومتوكلاً على الله وكانت وجهته نحو أرض مدين أرض نبي الله شعيب.

موسى في أرض مدين:

وصل موسى إلى أرض مدين وكان بدء وصوله إليها بدءاً لمرحلة جديدة يزداد فيها اقترابه من ربه اقتراباً حتى شاء الله لموسى ما لا يعلمه موسى وقد شاء الله عنده لموسى أن يكون له رسولاً وأن يكون له كليماً، وكان بدء هذه المرحلة ما تقصه علينا الآيات ﴿ **وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهْدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِي عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾** ﴾ (القصص: ٢٢ – ٢٥)، هكذا كان بدء حياة موسى في أرض مدين لقد بدأت بالدعاء إلى الله بأن يهديه سواء السبيل وتبع الدعاء الذي هو من أنوار الإيمان في صدر موسى تطبيقا عمليا لتلك الأنوار فهاهو وقد بدأ بمساعدته لفتاتين ضعيفتين أهملها قومهما وهاهو وقد جاء سؤاله لهما عن حاجتهما بحياء المؤمن وتتابع هذا الحياء منه بقضاء حاجتهما ثم الانصراف بعيداً عنهما إن الحياء ليس إلا شعبة من شعب الإيمان إن موسى ما ابتغى من فعله إلا رضوان ربه وهاهو رضا ربه وقد تجلى عليه حيث كان أن تعجب والد الفتاتين من سرعة عودتهما إليه على غير العادة فكان منه سؤاله لهما ومعرفته منهما بالخبر فما كان من والد الفتاتين إلا أن تجلت أمامه شفاعات الإيمان التي في صدر موسى وهولا يعرفه وقال الشيخ في نفسه إن مثل هذا الرجل لابد أنه كنز ينبغي استكشافه وأرسل الشيخ إلى موسى إحدى ابنتيه لدعوته إليه وما أن وصل موسى إلى الشيخ حتى بادئ الشيخ باستكشافه لموسى وقص عليه موسى ما كان له في مصر فما كان من الشيخ إلا إن فرح بموسى لقد استشعر في موسى أنوار الإيمان فطمأنه بأن حياته القادمة سوف تكون معه ولكن لكي يكون لموسى حياه مع الشيخ وبناته كان لابد لموسى أن يتزوج إحدى الفتاتين ولكن كيف يزوج الشيخ موسى من إحدى ابنتيه وهو لا يملك مالاً لذلك الزواج فعرض الشيخ على موسى بأن يزوجه إحدى ابنتيه على أن يأجره موسى ثماني حجج فإن أتمها عشراً فمن عنده، وكان هذا العرض هو الطريق الوحيد والشرعي لكي يكون موسى في بيت الشيخ وكان أن طلبت إحدى الفتاتين من أبيها أن يقوم باستئجار موسى

وحينها يكون موسى بالبيت عبداً خادماً وغير محرم لبنات الشيخ والشيخ لا يحب ذلك خاصة بعد أن رأى أن أنوار الإيمان في قلب موسى عالية القدر ولا يمكن تقديرها بالمال إن موسى أمام الشيخ كنز لا يجوز التفريط فيه فكان ما كان من الشيخ في اتفاقه مع موسى لكسبه إليه، وما سبق تجليه إلينا الآيات ﴿ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ ﴿٢٨﴾ ﴾ (القصص: ٢٥– ٢٨)، واستمرت حياة موسى مع الشيخ حتى قضى موسى الأجل وطلب من الشيخ الرحيل حيث ازداد اشتياق موسى إلى أهله في مصر وسمح له الشيخ بما طلب وأعطاه مكافأة كبيرة لنهاية خدمته لتكون عونا له على حياته الجديدة وبدأت رحلة موسى في العودة إلى مصر.

﴿ الله ﴾

عودة موسى إلى مصر:

بدأ موسى رحلة عودته إلى مصر وتجلى لنا الآيات ما كان معه في رحلة العودة ﴿ ۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (القصص: ٢٩– ٣٠)، وجاء نداء آخر لموسى ﴿ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ ﴾ (طه: ١٢– ١٣) ، هكذا بدأت شفاعات أنوار السماء في التجلي على موسى وتوالى حوار الله مع موسى ﴿ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (الشعراء: ١٠ – ١٦)، هكذا عرف موسى أنه لله رسول وسأل موسى نفسه كيف يقوم بما أرسله الله به وهو لا يملك ما يعينه على هذا التكليف العظيم ولم يترك الله لموسى تساؤلاته وهاهو موسى سرعان ما جاءه المدد من الله وقال الله له: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُواْ قَوْلِى ﴿٢٨﴾ ﴾ (طه: ١٧–٢٨)،

هكذا جاء لموسى من الله مدداً يعلو به على فرعون وقومه لتعلو دعوته وقبل بدء موسى لدعوته جاءه من الله بيان بكيفية أسلوب الدعوة إلى الله وأنها لابد لها أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة وجاء قول الله لموسى وهارون ﴿ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ (طه: ٤٣ – ٤٤)، إنه منهج الدعوة لكل رسالات السماء إنه الذي حدث الله فيه خاتم رسله ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل: ١٢٥)، وقال تعالى لرسوله الخاتم ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران: ١٥٩).

❁ ❁ ❁

بدء الدعوة لموسى:

عاد موسى إلى أهله في مصر لتبدأ دعوته بهم ثم إلى فرعون وقومه وجاء قول الله في ذلك ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِئَايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ** ﴿٥﴾ ﴾ (إبراهيم: ٥)، وما وجد موسى في قومه آذانا صاغية لدعوته إلا من قله منهم وقال له قومه ما تقصه علينا الآية ﴿ **وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ** ﴿٣٤﴾ ﴾ (غافر: ٣٤)، ولم ييأس موسى من عناد قومه واتجه هو ومن أمن معه نحو قصر الفرعون لمقابلته وإبلاغه بالدعوة إلى الله ولم يشأ فرعون مقابلة موسى لكن إصرار موسى فرض على فرعون اللقاء حتى لا يقال عن فرعون بأنه خائف من موسى وبدأ موسى في مخاطبته لفرعون ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴿١٠٤﴾ **حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ** ﴿١٠٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٠٤ –١٠٥) وبدأ فرعون استهزائه بموسى ﴿ **قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ** ﴿١٨﴾ **وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ ٱلَّتِى فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ** ﴿١٩﴾ ﴾ (الشعراء: ١٨ – ١٩)، وجاء رد موسى على فرعون في قوله تعالى ﴿ **قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ** ﴿٢٠﴾ **فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ** ﴿٢١﴾ **وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ** ﴿٢٢﴾ ﴾ (الشعراء: ٢٠ – ٢٢) وعاود فرعون استهزاءه بموسى ﴿ **قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ** ﴿٤٩﴾ **قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ** ﴿٥٠﴾ **قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ** ﴿٥١﴾ **قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى** ﴿٥٢﴾ ﴾ (طه: ٤٩ – ٥٢)، وتجلي عجز فرعون أمام موسى ولم يجد فرعون أمامه لإيقاف

زحف موسى عليه إلا توجيه الإنذار إليه ﴿ قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذۡتَ إِلَٰهًا غَيۡرِي لَأَجۡعَلَنَّكَ مِنَ ٱلۡمَسۡجُونِينَ ﴾ (الشعراء: ٢٩)، ولم يأبه موسى بتهديد فرعون له بل أعلن له التحدي ﴿ قَالَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكَ بِشَيۡءٖ مُّبِينٖ ﴾ (الشعراء: ٣٠).

وأعلن فرعون قبوله التحدي ﴿ قَالَ فَأۡتِ بِهِۦٓ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ (الشعراء: ٣١)، فما كان أمام موسى إلا أن يعلو ببرهان ربه له ﴿ فَأَلۡقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعۡبَانٞ مُّبِينٞ ۝ وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِيَ بَيۡضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ ﴾ (الشعراء: ٣٢ – ٣٣)، وحلت الصاعقة بفرعون وتعالى صراخه وخاف من إيمان قومه بموسى فكان أن خاطب قومه ﴿ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ۝ يُرِيدُ أَن يُخۡرِجَكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِۦ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ۝ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ۝ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴾ (الشعراء: ٣٤ – ٣٨)، وكان هذا اليوم المعلوم هو يوم الزينة إنه يوم شم النسيم عند المصريين ذلك اليوم الذي يخرج فيه الشعب كله إلى الحدائق والحقول وهم على هذا إلى اليوم وأراد فرعون في تحديده لهذا اليوم أن يكون انتصاره بسحرته على موسى أمام الملأ من القوم فلا يؤمنون به وجاء يوم الزينة وحان موعد المناظرة والتحدي بين موسى وسحرة فرعون وتجلي لنا الآيات ذلك الحدث ﴿ فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ۝ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ۝ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ۝ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴾ (الشعراء: ٣٨ – ٤٢)، هكذا واعد فرعون سحرته بالأجر العظيم وأن يكونوا من سلطانه المقربين وحان موعد المناظرة وخاطب موسى السحرة

﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ ۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (الشعراء: ٤٣ – ٥١)، هكذا جاء الفضح لفرعون أمام الملأ وليس لموسى كما أراد فرعون وتعالى صراخ فرعون أمام هذا الإذلال أمام كل القوم وبدأ يتوعد بالانتقام كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ﴾ (غافر: ٢٦)، وهاهو رجل من آل فرعون وقد بث الرعب في قومه بإنذاره لهم بأنهم إذا تم اقترابهم بالأذى من موسى فسوف يهلكهم الله كما أهلك أمثالهم من قبل مثل قوم نوح وأمثالهم وجاء بيان ذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ ﴾ (غافر: ٢٨)، وزادهم الرجل المؤمن إنذاراً كما جاء في الآية ﴿ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ ﴾ (غافر: ٣٢ – ٣٣)، هكذا بعث الرجل المؤمن الرعب في قلوب قومه وبدأ الفزع ينتشر في قلوب قوم فرعون وتعهد فرعون بعدم إيذائه لموسى ولكنه سوف يؤذي قوم موسى ويذلهم وبدأ فرعون في بث الرعب في قلوب المؤمنين من قوم موسى وقال أتباع موسى لموسى ما جاء في قوله تعالى

﴿ قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (الأعراف: ١٢٩)، وزادهم موسى إطمئناناً ﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصۡبِرُوٓاْۖ إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (الأعراف: ١٢٨)، وكان كل هذا الجهد من موسى لطمأنة المؤمنين من قومه رغم أنهم قلة كما تجلي لنا الآية ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ مِّن قَوۡمِهِۦ عَلَىٰ خَوۡفٖ مِّن فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِمۡ أَن يَفۡتِنَهُمۡۚ وَإِنَّ فِرۡعَوۡنَ لَعَالٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ (يونس: ٨٣)، وأهل الكتاب السابقون دوماً لا يؤمن منهم إلا قلة وهؤلاء الصالحون من أهل الكتاب كم جاءت الأحاديث النبوية بكثير من قصصهم وكم أشارت إليهم أيضاً العديد من آيات القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿ قُلۡ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوۡ لَا تُؤۡمِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ إِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ يَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ سُجَّدٗا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعۡدُ رَبِّنَا لَمَفۡعُولٗا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا۩ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (الإسراء: ١٠٧ – ١٠٩).

صدق الله العظيم

بدء بني إسرائيل في سورة البقرة

إيجاز سرد بني إسرائيل:

كان كل ما سبق ليس إلا سبقاً عن بدء بني إسرائيل وبدء موسى الكليم حتى بدء مجابهته لفرعون اللعين وما كان ذلك إلا استعداداً لسرد ما جاء عن بني إسرائيل في سورة البقرة ذلك الذي بدأ بإيجاز استمر حتى تسع آيات من السورة وهو إيجاز بدأ بندائهم الخاص بهم يا بني إسرائيل وانتهى أيضاً بنفس النداء وهذا الإيجاز جاء حاملاً لعديد من خيوط الدلالات عن هؤلاء القوم وهو جاء كالآتي:

أولاً: تذكير هؤلاء القوم بندائهم الخاص من الله عسى أن يوقظ هذا النداء خيوط الإيمان في قلوبهم وعسى أن يتذكروا منه بأنهم ذرية نبي الله يعقوب وهم الذين عاهدوه على طاعة الله وعبادته وعليهم أن يكون أبوهم مثلهم الأعلى في الإيمان وكيف لا وهم الذين أسموه ووصفوه عندهم بإسرائيل أي ما يعني صفوة الله فكيف يكون أبوهم صفوة الله وهم يكونون لعنة الله.

ثانياً: التذكير بأن كل ما جاء به الرسول الخاتم لا يعارض رسالتهم وهم كانوا المبشرين بالرسالة الخاتم ورسولها بل إنهم وصفوا رسول الرسالة الخاتم من كتابهم وكأنه كان بينهم وكأنه كان أحدهم.

ثالثاً: يعلم الله أن قلوب هؤلاء القوم يغلب عليها زينة الحياة الدنيا وهي قلوب سرعان ما تلتقط نجاسات الكفر وتلفظ شعاعات الإيمان وما ذلك كله إلا لضعف إيمانهم ويعلمهم الله الطريق الصحيح للتقوى نحو علا الإيمان بالصبر وإقامة الصلاة التي أمرهم الله بها حق إقامتها عسى أن تكون دافعة لهم نحو أداء الزكاة وطهارة القلوب.

رابعاً: يذكرهم الله بأن رسالتهم تأمرهم بالبر وهم دائمي حث غيرهم عليه ومع ذلك هم لا يفعلونه وهذا لا يجوز منهم لأن البر ليس فقط كلاماً يقال لكنه أفعال تقام يتم إثباتها بالحجة والبرهان.

خامساً: تذكير بني إسرائيل بأن نسبهم إلى نبي الله يعقوب لا يعطيهم شفاعة في أعمالهم الشريرة ذلك لأن كل نفس عند الله هي بما كسبت رهينة، والإيجاز السابق جاءت فيه الآيات الآتية:

يَٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِىٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰىَ
فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا
تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُواْ
ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ۞
أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ وَأَنتُمۡ تَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٤٤﴾
وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم
مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿٤٦﴾ يَٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ
وَأَنِّى فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِى نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ
مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

صدق الله العظيم

أحداث في حياة بني إسرائيل

نهاية فرعون وقومه:

يبدأ الذكر في بيان أحداث هؤلاء القوم بذكر انتقام الله لهم من فرعون وقومه حيث ازداد عذاب قوم فرعون لبني إسرائيل وكانوا كلما اشتد منهم عذاب لبني إسرائيل كان يأتيهم من الله عذاب أشد قوة حتى يعلو منهم صراخهم وطلبهم للنجدة ويلجأون إلى موسى ليدعو الله بأن يرفع عنهم عذابه على أن يرفعوا هم عذابهم عن بني إسرائيل وتجلي لنا الآيات كيف كان عذاب الله لقوم فرعون ﴿ **وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾** ﴾ (الأعراف: ١٣٠ – ١٣٢) هكذا كان بدء عذاب الله لقوم فرعون ذلك الذي يجليه لنا قوله الله تعالى: ﴿ **فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾** ﴾ (الأعراف: ١٣٣) هكذا تعددت ألوان عذاب الله لقوم فرعون وفي كل عذاب كانوا يعاهدون موسى برفع عذابهم عن بني إسرائيل ولكنهم كانوا ينقضون العهد ولم يتعلموا من الآيات التسع تلك التي جاءهم بها موسى من عند الله إنها التي قال فيها ابن عباس بأنها كانت كالآتي:

١- اليد ٢- العصا ٣- السنين ٤- نقص الثمرات

٥- الطوفان. ٦- الجراد ٧- القمل ٨- الضفادع ٩- الدم

وهذه الآيات جاء فيها قوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾** ﴾ (الإسراء: ١٠١)، ولم يأبه موسى بكلام فرعون وخاطبه بخطاب أشد قوة ﴿ **قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾** ﴾ (الإسراء: ١٠٢)

أي هالكاً ونهايتك قد اقتربت وهاهي نهاية فرعون وهي تنسج خيوطها بما أوحي به الله إلى موسى بعد دعوته إلى ربه بأن يهلك فرعون وقومه كما تجلى لنا الآيات ﴿ **وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلاً فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾** ﴾ (يونس: ٨٨ –٩٨)، هكذا جاءت طمأنة الله لموسى بإجابة دعائه وقد قال تعالى قد أجيبت دعوتكما مع أن الداعي كان موسى فقط ولكن هارون كان يؤمن على دعاء موسى والتأمين على الدعاء دعاء وأوحى الله إلى موسى بالاستعداد مع قومه لنهاية فرعون وجاء ذلك في قوله تعالى ﴿ **وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُواْ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾** ﴾ (يونس: ٨٧)، هكذا جاء أمر الله لموسى ببدء إعداد قومه الإعداد الروحاني اللازم لإجابة الدعاء وهاهم وقد طلب الله منهم بأن يجعلوا لبيوتهم أشكالاً توحي بأنها بيوت عبادة كما المساجد التي يسجدون فيها لله وأن يقيموا فيها الصلاة على أن تكون قبلتهم في الصلاة نحو المشرق أي إلى بيت المقدس وتلا هذا الإعداد الروحاني إعداد مادي وذلك بأن يستعير نساء بني إسرائيل ذهب نساء فرعون وكان ذلك متعارفاً عليه بينهم حيث كان نساء فرعون يتباهون بذهبهم على عبيدهم من نساء بني إسرائيل وجاء أمر الله لموسى بأن يجمع رفاقه من بني إسرائيل ومعهم الذهب الذي جاءهم من نساء قوم فرعون استعداداً للرحيل في المساء دون أن يعلم أحدٌ بأمرهم وتحركت قافلة موسى نحو البحر حتى تم اقترابها منه وحين اقترابهم من شاطئ البحر شاهد بعض من قوم موسى آثار فرعون وجيشه عن بعد وهم يزحفون خلفهم فدب الرعب في قلوب أتباع موسى كما تجلي لنا الآية ﴿ **فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾** ﴾ (الشعراء: ٦١ – ٦٢)، وأوحى الله إلى موسى بأن يضرب بعصاه البحر وهو وقومه على شاطئه وجاء وحي الله إلى موسى بذلك في قوله تعالى: ﴿ **فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْأَخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ**

أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ۝٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ۝٦٧ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ۝٦٨ ﴾ (الشعراء: ٦٣ – ٦٨) هكذا كانت رحمة الله لموسى ومن معه بعد أن ضرب موسى البحر بعصاه فتحول ماؤه إلى طرق يابسة متعددة وأصلة نحو الشاطئ الآخر عبر عليها موسى وقومه وما أن تم عبورهم حتى وصل فرعون وجيشه إلى الشاطئ الآخر وشاهدوا ما هو أمامهم عجباً ما هذه الطرق اليابسة ومن أين جاءت ومتى جاءت وأصابهم الذهول ودار التساؤل في أنفسهم مصحوباً بالخوف ماذا هم فاعلون للحاق بموسى ومن معه وتعالى فيهم عنادهم إنهم لابد لهم أن يسلكوا نفس الطرق التي سلكها موسى وصحبه ولابد لهم من اللحاق بموسى وقومه وإهلاكهم وانطلق فرعون وجنوده نحو الطرق اليابسة بالبحر وما أن وصلوا إلى منتصف البحر حتى جاء أمر الله إلى موسى بأن يضرب البحر بعصاه كما ضربه أول مرة فما عسى أن يكون من فعل العصا هذه المرة إنها في أول مرة كانت ثعباناً في قصر الفرعون وفي المرة الثانية تحول البحر إلى طرق يابسة بعد ضربة موسى بها فماذا عسى أن يكون فعلها هذه المرة إن موسى لا يدري ماذا في علم الغيب وضرب موسى البحر بعصاه وما أن ضرب موسى البحر بعصاه حتى عاد البحر إلى طبيعته المائية وصار كله ماءاً وغرق فرعون وجيشه بالبحر وحين الغرق كان فرعون يعلو بصراخه ويعلو بإعلان إيمانه برب موسى ولكن هيهات هيهات من توبة عند الممات ﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٩٠ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٩١ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ۝٩٢ ﴾ (يونس: ٩٠ – ٩٢)، هكذا كان غرق فرعون ولم ينفعه إعلانه لإيمانه عند الغرق ولم يصدق بنو إسرائيل عظمة ما هو أمامهم ولم يصدق بعضهم أن فرعون يمكن أن يصيبه الغرق والموت وحينها أمر الله البحر بأن يقذف بجثمان فرعون أمامهم ليتأكدوا من موته ولتعلو فيهم عظمة ربهم وكان ذلك في يوم العاشر من محرم ذلك اليوم الذي وجد خاتم المرسلين أن يهود المدينة يصومونه شكراً لله على نجاة موسى وصحبه وغرق فرعون وجيشه وقال سيدنا رسول الله حينها نحن أحق بموسى منهم وأمر بأن يكون صيام المسلمين لذلك اليوم متبوعاً بيوم قبله أو يوم بعده مخالفة لليهود ويتجلى ما سبق في الآيات الآتية من سورة البقرة:

وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾ وَإِذۡ فَرَقۡنَا بِكُمُ ٱلۡبَحۡرَ فَأَنجَيۡنَٰكُمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾

صدق الله العظيم

بنو إسرائيل على الشاطئ الآخر:

بدأت حياة جديدة لموسى وأصحابه على الشاطئ الآخر حياة يعلوها العزة والسلطان وهاهم لم يعودوا عبيداً كما كان حالهم من قبل وهاهم وقد صاروا أغنياء بما معهم من ذهب نساء قوم فرعون وهذا الذهب لم يأت إليهم إلا استرداداً لحق من حقوقهم حيث هم كانوا يعملون عبيداً عند قوم فرعون ولا أجر لهم سوى إطعامهم وهذا الذهب ما هو إلا جزءاً من أجرهم عن سابق أعمالهم ولم يكن ليأمرهم الله بسطو حرام حتى على عدوهم إن الذهب حقهم وليس كما يقول المؤرخون بأن اليهود سارقون لقد تناسى المؤرخون بأن الله هو الذي أمرهم باستعارة الذهب ليكون لهم والله لا يأمر إلا بالحق ولكن ماذا كان من رفقة موسى بعد بيان عظمات الله عليهم هل شكروا الله على عظيم نعمه عليهم كلا إنهم لم يكن منهم على ذلك إلا قلة كما هو دائم عهدهم منذ بدئهم كما جاء فيهم قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الشعراء: ٦٧– ٦٨)، فماذا كان من هؤلاء الأكثرية الفاسقة مع نبيهم موسى إنهم شاهدوا قوما حولهم يعبدون الأصنام فما كان منهم إلا أنهم طلبوا من موسى بأن يجعل لهم أصناما يعبدونها كما هو حال قوم حولهم وذعر موسى من طلبهم وزجرهم زجراً شديداً وهم كانوا يهابونه أشد هيبة وأنذرهم موسى بأنهم إن لم يتوبوا عن طلبهم عبادة الأصنام فسوف يأتيهم من الله عذاب أشد قسوة مما جاء الله به أل فرعون وجيشه فخاف القوم وارتعدت فرائضهم وأعلنوا توبتهم ﴿ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (الأعراف: ١٣٩ – ١٤٠) ، وواعد الله موسى ثلاثون يوما وأخبر موسى قومه بميعاده مع ربه واستخلف موسى عليهم أخاه هارون خوفا من ضلالهم حين غيابه عنهم واتجه موسى نحو الجبل لميقات ربه وظل موسى طوال فترة الميقات صائما حتى انقضت الثلاثون يوماً وحتى حان له لقاء ربه وأفطر موسى من صيامه على عشب حوله فسأله جبريل عن سبب إفطاره فقال موسى خشيت من رائحة فمي أن تكون كريهة حين لقاء ربي فأخبره جبريل بأن رائحة فم الصائم هي عند الله أطيب من ريح المسك ويلزم لموسى أن يجدد صيامه حتى يحين له موعد لقائه بربه وتسرد لنا الآيات ما كان عليه لقاء موسى مع ربه ﴿ ۞ وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ۚ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ

وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ (الأعراف: ١٤٢ – ١٤٣)، أظهرت لنا الآيات السابقات بأن موسى بعد أن جاء له لقاء ربه طلب منه أن يراه ورؤية الله لا طاقة لخلقه بها وهذا جبريل عليه السلام حين المعراج مع سيدنا رسول الله توقف عند سدرة المنتهى وقال تقدم يا محمد فإنك أنت المطلوب وأنت المرغوب والله لو تقدمت خطوة واحدة لاحترقت وحين سؤال سيدنا رسول الله عن رؤيا ربه بعد معراجه إليه قال ما رأيت إلا نوراً وكيف يمكن لبشر رؤية أنوار الله وأنوار كتابه وحده تهتز لها الجبال كما قال تعالى ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الحشر: ٢١)، وكان أن تجلت أنوار الله على الجبل وخر الجبل ولم يستقر مكانه وخر موسى من صعقة الجبل وإذا كان موسى قد خر من صعقة الجبل من أنوار الله فكيف به أمام الأنوار التي خر منها الجبل ولما أفاق موسى من غشيته أدرك حقيقته وسارع إلى ربه بتوبته وقال سبحانك

﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ ﴾ (الأعراف: ١٤٣ – ١٤٥)، هكذا جاء استغفار موسى لربه وبعدها جاء اصطفاء الله لموسى وتلقيه الألواح ليعلمها لقومه ولتكون دستوراً لعباداتهم ومعاملاتهم إنها رسالة من رسالات الله إلى خلقه لهدايتهم إلى صراطه المستقيم حتى موعد رسالة

خاتم المرسلين وفي ذلك سأل سيدنا أبي ذر الغفاري سيدنا رسول الله كم كتاب أنزل الله تعالى ؟ قال مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل على آدم عشرة صحف، وعلى شعيب خمسين صحيفة، وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرة صحائف، وأنزل الزبور والتوراة والإنجيل والقرآن، والقرآن جاء فيه كل ما في الصحف الأولى لإبراهيم وموسى كما قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ۝١٩** ﴾ (الأعلى: ١٨ – ١٩)، وفيما سبق تأكيد من الله تعالى بأن الإسلام هو دين كل رسالات السماء والختام هو مسكها وتمامها وتلقي موسى ألواح التوراة وعاد إلى قومه ليعلمهم كل ما جاء فيها وما أن وصل موسى إلى قومه حتى وجد أمامه كارثة لم يكن ليتوقع حدوثها إن بعضاً من قومه يعبدون عجلاً صنعوه بأيديهم من الذهب الذي كان معهم كيف حدث ذلك منهم وهو الذي استخلف عليهم أخاه هارون خشية ضلالهم من أين جاءهم هذا الضلال وفقد موسى أعصابه وثارت ثائرته وألقى الألواح قذفاً وانصب غضبه على أخيه هارون ﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنۢ بَعْدِيٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٥٠ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ۖ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ۝١٥١** ﴾ (الأعراف: ١٥٠ – ١٥١)، هكذا جاء دعاء موسى لربه ليغفر له ولأخيه هارون مع أن موسى كان بعيداً عند حدوث الحدث من القوم إلا أن موسى لم يتبع الحكمة والموعظة الحسنة في معرفة حقيقة الحدث وبدأ في محاسبته لهارون على ظاهر الأمر ثم إن موسى قبل ذلك كله ألقى الألواح وفيها كلام الله على الأرض وعليه كان لابد لموسى أن يستغفر ربه وعاد موسى إلى رشده وبدأ بمعرفة الخبر من هارون، وجاء بعد ذلك محاسبة موسى لقومه ﴿ **فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي ۝٨٦ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِيُّ ۝٨٧ فَأَخْرَجَ لَهُمْ**

عِجْلاً جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُواْ هَـٰذَآ إِلَـٰهُكُمۡ وَإِلَـٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ إِلَيۡهِمۡ قَوۡلاً وَلَا يَمۡلِكُ لَهُمۡ ضَرًّا وَلَا نَفۡعًا ﴿٨٩﴾ ﴾ (طه: ٨٦ – ٨٩)، وبدأ موسى بعد ذلك في محاسبة السامري وكان من السامري ما تسرده الآيات ﴿ قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةً مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِى نَفۡسِى ﴿٩٦﴾ قَالَ فَٱذۡهَبۡ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلۡحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوۡعِدًا لَّن تُخۡلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ (طه: ٩٦ – ٩٨)، ونسف موسى العجل أمام قومه ليتأكد أمامهم أنه لا ينفع نفسه ولا ينفعهم وبدأ موسى في إيقاظه للإيمان في قلوب قومه وأخبرهم موسى بضرورة توبتهم إلى الله حتى لا يحمل الله عليهم غضبه وهم يعلمون كيف كان غضب الله على فرعون وقومه وطلب القوم من موسى بأن يدعو ربه ليرشدهم إلى ما يفعلونه ليتوب عليهم ودعا موسى ربه وأوحى الله إلى موسى بكيفية التوبة لتكون بأن يقتل كل من لم يعبد العجل مقابله من عبدة العجل وجعل موسى قومه في صفين متقابلين صف فيه كل من عبد العجل يقابله صف من الذين لم يعبدوا العجل وأحل الله عليهم ظلمه حتى لا يرى القاتل مقتوله وبدأ القتل وصراخ القوم يتعالى وهم يبكون قتلاهم عند سور قريب، وهذا السور أسموه عندهم فيما بعد حائط المبكي وتعالى من القوم إعلانهم التوبة إلى الله وطلبهم منه الرحمة حتى جاء أمر الله لموسى بإيقافه القتل عسى أن يوقظ هذا الدرس الإيمان في قلوب القوم وما سبق جاء فيه قوله تعالى في سورة البقرة:

وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَـٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ثُمَّ عَفَوۡنَا عَنكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَـٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿٥٣﴾ وَإِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ يَـٰقَوۡمِ إِنَّكُمۡ ظَلَمۡتُمۡ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلۡعِجۡلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ فَٱقۡتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٌ لَّكُمۡ عِندَ بَارِئِكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٤﴾



الأخذ بالصاعقة:

بعد أن جاءت رحمات الله لبني إسرائيل بإيقاف القتل فيهم كان لابد أن يأتي منهم شكر إلى الله على عظيم رحماته بهم وجمع موسى من قومه صفوتهم وكانوا سبعين رجلا ﴿ **وَٱخۡتَارَ مُوسَىٰ قَوۡمَهُۥ سَبۡعِينَ رَجُلٗا لِّمِيقَٰتِنَاۖ فَلَمَّآ أَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ قَالَ رَبِّ لَوۡ شِئۡتَ أَهۡلَكۡتَهُم مِّن قَبۡلُ وَإِيَّٰيَۖ أَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآۖ إِنۡ هِيَ إِلَّا فِتۡنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهۡدِي مَن تَشَآءُۖ أَنتَ وَلِيُّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَاۖ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡغَٰفِرِينَ ١٥٥** ﴾ (الأعراف: ١٥٥)، هكذا أخذ موسى من قومه صفوتهم سبعين رجلاً واتجه بهم نحو الجبل حيث تلقى الألواح من ربه وتركهم موسى أسفل الجبل وصعد وحده وسمع القوم الحوار إلى موسى وعاد موسى إلى قومه فوجدهم وقد علا فيهم فسادهم إنهم يريدون أن يروا الله جهرة وحاول موسى تعليمهم ما تعلمه من قبل في مثل هذا الدرس ولكن القوم تعالى فيهم عنادهم وازداد منهم إصرارهم على طلبهم ﴿ **وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦** ﴾ (البقرة ٥٥- ٥٦)، هكذا جاءت الصاعقة من الله على هؤلاء القوم فأخذتهم جميعا وظل موسى حينها يدعو ربه بأن يبعث في تابعيه أرواحهم ليكونوا عوناً له على دعوته واستجاب الله دعاء موسى وبعث الله فيهم أرواحهم لعلهم يشكرون الله ويكونوا عوناً لنبيه في دعوته وعاد القوم إلى أهليهم وأخبروهم بفضل الله عليهم وضرورة علا إيمانهم بربهم وما سبق جاء فيه قول الله تعالى في سورة البقرة.

وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦

صدق الله العظيم

حول دخول الأرض المقدسة:

جاء وحي الله إلى موســـى عليه الســـلام بأن يدعو قومه لإعداد أنفســـهم لدخولهم الأرض المقدســـة تلك التي بدأت فيها حياتهم مع أبيهم يعقوب إنها الأرض التي باركها الله بالأنبياء مباركة روحانية مضافاً إلى كونها الأرض المقدسة التي بها بيت المقدس ذلك الذي تم وضعه في الأرض بعد البيت الحرام بأربعين سنة وبارك الله كل ما حول الأرض المقدسة بأفضل الزراعات والخيرات إضـــافة إلى النبوات كما جاء بيان ذلك في بدء سورة الإسراء ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ (الإســـراء: ١) فماذا كان من هؤلاء القوم مع أمر ربهم لقد نظروا إلى أمر الله لهم بحسابات دنيوية فقط مع أن أوامر الله فيها العديد من الغيبيات وليس للإنسان معها إلا السمع والطاعة وذلك أمر لا يكون إلا من قلوب مملوءة بأنوار الإيمان وليس بظلام الكفر والبطلان وقال القوم لموســـى إن المدينة فيها قوم جبارون ولا طاقة لنا بهم وجاء بيان ظلامهم في قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَآ أَبَدًا مَّا دَامُوا۟ فِيهَا ۖ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى ۖ فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾

(المائدة: ٢٠ – ٢٧)، هكذا كانت حســابات هؤلاء القوم مع أمر الله لهم إنها حسابات بالعقل فقط ولكن أين كانت عقولهم هذه أمام قوتهم وقوة فرعون وجيشــه ولمن كان النصــر، إن النصر كان لأمر الله، إن الله حين يقر في كونــه بشــيء يلحق به إرادته ولكن القلوب الغبية لا تفهم الأوامر الربانية إلا بالعقول الغبية فما كان لهؤلاء القوم إلا أن جاءهم غضب من الله وقضى الله عليهم بالتيه أربعين سنة ورغم أنها كانت فترة تيه وعقاب إلا أن نعم الله لم تنقطع عنهم طوال فترة تيههم وكيف لا وفيهم كليم الله موســى والصالحون من قومه وهاهو نبيهم موسى وقد بدأ مع بدء فترة التيه في إعدادهم جيشــا قوياً إعداداً لدخولهم الأرض المقدسة وقام موسى بتجنيد كل من بلغ منهم العشرين ســنة ودربهم على كل فنون القتال اســتعداداً منهم لتجديد أمر الله لهم بدخول الأرض المقدسة بعد قضائهم فترة التيه وفي فترة تيههم ظللهم الله بالغمام وأنزل لهم حلوا لمن يجدونه على ورق الشجر كل صباح وجعل طائر السلوى يحوم دوماً حولهم في هدوء يمكنهم من أخذه وذبحه دون عناء منهم وانتهت فترة تيه القوم وكان موسى وهارون حينها قد ماتا قبل انتهاء تيه القوم بسنوات قليلة وكان نبيهم بعد موسى وهارون هو يوشع بن نون وهم لا يعترفون بأي من أنبيائهم إلا به ذلك لأن اسمه جاء بالتوراة وهاهم قد جاءهم الأمر مع نبيهم يوشع بن نون بدخول الأرض المقدسة على أن يكونوا عند دخولهم لها ســجداً لله على عظيم فضله عليهم وأن تردد ألسنتهم قول حطه عسى الله أن يحط عنهم خطاياهم تلك التي كانت منهم في فترة التيه لتبدأ حياتهم في الأرض المقدســة صفحة بيضاء فما كان من هؤلاء القوم إلا أن دخلوا الأرض المقدسة زحفاً بدلاً من أن يدخلوا سجداً وقالوا حنطه بــدلاً من قولهم حطة وهو قول عندهم يعني حبة القمح إنهم ظلموا أنفســهم لقد بدلوا أمر الله لهم بألســنتهم وأفعالهم فما كان لهؤلاء القوم إلا أن جاءهم من الله الغضــب وأنزل الله عليهم رجزا فأصــابهم الطاعون وتشــردت أسباطهم وقاتل القوم بعضهم بعضاً وتفرقوا في شتات الأرض وما سبق أشارت إليه الآيات من سورة البقرة في قوله تعالى:

وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾

الماء من تحت الحجر:

كان لبني إسرائيل في فترة تيههم حوادث كثيرة وكان أن نفذ منهم الماء ولم يجدوا السقيا فلجئوا إلى نبيهم موسى وطلبوا منه أن يدعو الله السقيا لهم ودعا موسى ربه السقيا فكان أن أوحى الله إلى موسى بأن يضرب بعصاه الحجر الذي يقف عليه فما عسى أن يكون ضرب الحجر بالعصا هذه المرة وقد كانت أول مرة أمام فرعون ثعباناً كبيراً ثم كانت حين ضرب بها البحر أول مرة أن تحول البحر إلى طرق يابسة ثم حين ضرب بها البحر ثانية كان أن عاد البحر إلى طبيعته ماءاً وغرق فرعون وجيشه بالبحر فما عسى ضرب الحجر بنفس العصا هذه المرة وضرب موسى الحجر بعصاه فإذا بالماء يخرج مندفعا من تحت الحجر في شعب متفرقة يصل إلى كل سبط في مكانهم ووصل العقل السفيه بهؤلاء القوم إلى أنهم طلبوا من موسى بأن يأخذوا معهم الحجر في كل مكان يذهبون إليه حتى إذا احتاجوا ماءاً ضرب لهم موسى الحجر بعصاه كم هو شديد غباء هؤلاء القوم إنه ليس للعصا ولا لموسى ولا للحجر دخل في تدفق الماء إليهم إن ناتج ضرب العصا يحدث متغيراً في كل حين كما يشاء الله ويأذن وما الحجر والعصا وموسى إلا ظواهر أسباب لتقنع بها العقول الضعيفة وليكون ظاهراً أمام القوم أن أي فعل لابد له من فاعل كما أن لكل مخلوق خالق والله خالق الكون وما فيه وهاهو أيوب عليه السلام وقد قال الله له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشارب فكان شفاء أيوب وما للماء من دخل في شفاء أيوب إلا ظاهراً وهذه مريم عند المخاض وهي امرأة ضعيفة جاء أمر الله إليها بأن تهز النخلة من جزعها وما ذلك إلا بعمل جماعة من الرجال ولكنها ظواهر أسباب يخاطب الله بها عقول عباده فأين عقل هؤلاء القوم من الإيمان ؟! وما سبق جاء فيه قول الله تعالى في سورة البقرة.

۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ مِن رِّزْقِ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٠﴾



تبديل طعام السادة بطعام العبيد:

في فترة التيه تعددت منن الله على بني إسرائيل وما جاءت النعم متعددة من الله إلى هؤلاء القوم إلا لعلم الله بضعف قلوب القوم ولنفس هذا السبب تعددت فيهم أنبياؤهم حيث هؤلاء القوم دوماً قلة منهم هم الذين يعلو الإيمان في قلوبهم ولكن الإيمان حين يخالط قلوب عامة القوم وسفهاءهم فإنه لا يلتصق بها حتى وإن حدث أحيانا له التصاق فإنه يكون التصاقاً مؤقتاً لزمن محدود متأثراً بدوافع حوله وهؤلاء القوم دائم حياتهم يكونون رحل لا استقرار ولا أمان لهم في مكان وهم ما كان لهم يوماً حلول بمكان إلا وعلا فيه الشيطان وما ذلك إلا لأنهم قوم منذ بدئهم جعلوا من أنفسهم للشيطان ظلا حتى أعطاهم الله عمراً إلى يوم القيامة كما هو حال إبليس وجعلهم الله علامة من علامات الساعة حين يختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر وينطق الله الحجر والشجر لينادي يا مسلم هذا يهودي خلفي تعالى فاقتله وهذا الأمر فيه دلالة على أن هؤلاء القوم يبغضهم كل من في الأرض حتى الجماد ينطقه الله من كثرة بغضه لهم إنهم قوم أعلنوا بأنفسهم فساد قلوبهم وهاهم حين من الله عليهم بالمن والسلوى، ماذا كان منهم إنهم طلبوا من موسى العودة إلى طعام العبيد خشية منهم لأن يقطع الله عنهم طعامهم جزاءاً لفساد لقلوبهم وحينها تعجب منهم نبيهم موسى وسألهم كيف تستبدلون طعام السادة بطعام العبيد وجاء من القوم إصرارهم على طلبهم فما كان من موسى إلا أن قال لهم إن أردتم طعام العبيد فاذهبوا إلى الأرض التي كنتم فيها عبيداً وكان أن حرمهم الله طعام المن والسلوى وضرب عليهم الذلة والمسكنة جزاء رفضهم لنعمة ربهم ولكن بني إسرائيل كما سبق القول ليس كلهم فاسقون فكم من قلة فيهم صالحون وكم من الأحاديث النبوية جاءت ذاكرة لقصص الكثير من هؤلاء القلة وكم من صالحين قبلهم وقبل الرسالة الخاتم جاء ذكرهم مثل الصابئة قوم إدريس عليه السلام ذلك الذي هو أول نبي بعد شيت بن آدم وهو الذي اسمه أخنوج ولكن قومه أطلقوا عليه اسم إدريس من كثرة دراسته للعلوم إنه أول من خط بالقلم من بني آدم أجمعين وهو أول من علم علوم الحساب والفلك والزراعة والصناعة وغيرها من علوم الدنيا إنها العلوم التي جاءت منها حضارة المصريين القدماء حيث كان إدريس مصرياً ولد في مصر وعاش حياته في مصر ومات ودفن فيها ورسالة إدريس كم كان فيها من تشابه كبير مع ما جاءت به رسالة خاتم المرسلين فهاهي الصلاة عندهم كانت تبدأ بالطهارة كما صلاة أمة خاتم المرسلين وكانت تبدأ عندهم برفع اليدين وكانوا يصومون في العام ثلاثين يوماً كما صيام المسلمين من شروق الشمس إلى غروبها إلا أن الثلاثين يوما عندهم لم تكن متصلة حيث كان منها ستة عشر يوماً في الشتاء، وسبعة في الربيع، وسبعة في الصيف وبعد

تمام صيامهم كانوا يذبحون الذبائح ولحم الإبل، ولحم الخنزير كان عندهم محرماً، والزواج عندهم لا يكون إلا بولي والطلاق لا يكون إلا بالقاضي، وكتابهم يوجد منه نسخة في المتحف العراقي في بغداد وهكذا يكون قد تجلى أمامنا أن الإيمان وأهله منذ بدء الزمان وتعدد المكان تلو المكان كلهم يجمعهم إيمان واحد برب واحد حتى كان مسك ختامهم أمة الإسلام أمة خير الأنام تلك التي مدحها الله في قوله لها ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾(آل عمران: ١١٠)، هكذا دوما كل الصالحين من يوم الخلق وإلى يوم الدين لا تلهيهم حياتهم عن اليقين وكلهم يعلمون أن حياتهم ليست إلا زرعاً لأخرتهم وفيما سبق جاء قول الله تعالى:

وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾

صدق الله العظيم

التمرد على التوراة ورفع الجبل فوقهم:

كان موسى يعلم قومه كل ما جاء في التوراة من أفعل ولا تفعل وكان موسى يأمل من قومه أن تكون أنوار الإيمان مضيئة لقلوبهم وهي لا تضيئها إلا إذا انغمست داخلها وليس فقط أن تحوم حولها وهاهم عامة بني إسرائيل ما تلتقط قلوبهم من أنوار الإيمان شيئاً وهاهم وقد وصل بهم ظلام قلوبهم إلى أنهم قالوا لنبيهم إنهم لن يأخذوا من التوراة إلا ما يحلو لهم ويفيد حياتهم وأهواءهم الدنيئة وفزع منهم موسى من بجاحة طلبهم وأخبرهم بأنه لا يملك من التوراة شيئاً وأنه ليس إلا مثلهم يعمل بالتوراة كما أمر الله ولكن القوم علا فيهم ظلام قلوبهم على نبيهم فما كان لهم إلا أن جاءهم من الله إرهابهم ورفع الله الجبل فوقهم حتى صار وكأنه ظله بهم وسرعان ما جاء من القوم سجودهم على الأرض طالبين من الله الغفران والتوبة وكانوا حين سجودهم على الأرض سجداً لله على جهة واحدة من وجوههم حيث كانوا ينظرون بالجهة الأخرى إلى الجبل فوقهم خشية سقوطه عليهم وظل الرعب والفزع حالهم مع توالى استغفارهم وإعلانهم لتوبتهم حتى عفا الله عنهم وقبل منهم توبتهم وهاهم بنو إسرائيل ما زالوا حتى الآن في سجودهم في صلواتهم يسجدون على جهة واحدة من وجوههم وفيما سبق جاء قول الله تعالى في سورة البقرة:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱذْكُرُوا۟ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۖ فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

صدق الله العظيم

السخط إلى قردة وخنازير:

لم يستطع بنو إسرائيل طوال مراحل حياتهم السيطرة على شياطينهم وعلى عنادهم مع رسلهم وأنبيائهم وهاهم وقد جاء منهم طلبهم بأن يجعل الله لهم يوماً للراحة من كل أسبوع وكان أن جعل الله لهم يوم السبت من كل أسبوع يوماً للراحة على أن يكون هذا اليوم محرماً عليهم فيه العمل هكذا كان عهدهم مع ربهم وجاءهم اختبار من الله على صدق عهدهم معه وقد كان القوم يحبون صيد الحيتان فجعل الله الحيتان لا تأتي إلى البحر إلا في يوم السبت وهو يوم محرم عليهم فيه العمل فما كان من هؤلاء القوم إلا أن لجأ جماعة منهم إلى التماكر مع الله وهاهم وقد حفروا حفراً بجوار البحر حتى إذا جاءت الحيتان يوم السبت وقذفت بها الأمواج إلى الشاطئ فإنها تقع في الحفر ولا تستطيع الخروج منها ويمكنهم ذلك من أخذ الحيتان يوم الأحد إنه تماكر منهم مع ربهم فحق على الله عذابهم فكان أن سخط الله شيبانهم إلى خنازير ذلك الحيوان الذي يأتي طعامه من القاذورات ويأكل برازه وجاء سخط الله لشبابهم إلى قردة وهو حيوان مفضوح العورة وعورته ملونة حمراء وما كان ذلك من الله بهؤلاء القوم إلا سخرية منه بهم لتماكرهم معه ليكونوا عبرة لكل من حولهم واستمر سخط الله لهم أياماً معدودة ثم أماتهم الله بعدها وهم لم يتناكحوا ولم يتناسلوا وما سبق من هؤلاء القوم أشارت إليه سورة البقرة في قوله تعالى:

> وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَـٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَـٰهَا نَكَـٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾



حادثة البقرة:

حادثة البقرة في حوادث بني إسرائيل هي الحادثة الكبرى في حياتهم وهي قصة كبرى في كل شيء فهي كبرى في عظم أحداثها وكبرى في عظم أهدافها وكبرى في طول بيانها وسرد خطوطها وهذه الحادثة بدأ نسج خيوطها قبل بدئها فهاهو رجل صالح من بني إسرائيل كان اسمه عاميل وكان هذا الرجل حين حضرته الوفاة له طفل صغير وكان لا يملك من زاد الدنيا غير عجل صغير وحين جاءته الوفاة أمر قومه بضرورة إطلاق العجل الذي لا يملك غيره في الصحراء ولم تكن حسابات عاميل دنيوية بل كانت حسابات ربانية إنه خشي على العجل الصغير من أن يأخذه قومه من ابنه الصغير بعد وفاته فكان أن أمر عاميل بإطلاق العجل في الصحراء تجارة لابنه مع الله وتعجب منه قومه ومن كيفية حساباته وحسبوا ما يفعله بحسابات الدنيا مثلهم كيف يطلق الرجل هذا العجل الصغير بالصحراء وهو لا يملك غيره لماذا لا يتركه لطفله الصغير إنهم لا يدركون مستوى الحسابات الربانية لهذا الرجل وأنه يطلق العجل بالصحراء تجارة به لأبنه مع الله وهو خير الرازقين أما بنو إسرائيل فهم شر السارقين ويمكنهم بعد موته أن يأخذوا العجل لأنفسهم هكذا هدى الله تفكير عاميل لإنقاذ ابنه من شرور قومه وتتوالى الأيام وتحدث حادثة أخرى في بني إسرائيل لتكون مكملة للحادثة الأولى حيث كان في بني إسرائيل رجل غني وليس له ذرية يرثونه بعد موته سوى أبناء أخيه وتعجل أحدهم يوماً الميراث فما كان منه إلا أن قام بقتل عمه ووضع جثمانه أمام سبط غير سبطهم حتى يتهم فيه سبط غيرهم وتبتعد التهمة عنه وعن سبطه وكان له ما أراد وتم اتهام السبط الآخر في قتله وأنكر أهل السبط الآخر أي علم لهم بحادثة القتل حتى صار الأمر محيراً لكل القوم فما كان من القوم إلا أن لجأوا إلى نبيهم موسى ليقضى لهم في الأمر وتحير موسى هو الآخر ولم يستطع موسى القضاء في الأمر وألجأ موسى حيرته إلى الله فأوحى الله إليه بأن يذبح القوم بقرة ويأخذوا بعضا منها ويضربوا به الميت فيبعث الله فيه الروح فيهب القتيل واقفاً ويشير إلى قاتله ثم يعود إلى موته وأخبر موسى قومه بما أوحي الله إليه به فما كان من القوم إلا أن قالوا لموسى أتسخر منا يا موسى إنهم قوم لا طاقة لهم بإدراك عظمات الله وبدأ القوم في مجادلتهم لموسى عسى أن يضيق بهم موسى ذرعاً ويكف عما قاله لهم وهاهم وقد أجمعوا في أنفسهم عديداً من التساؤلات عن أوصاف البقرة مع أن الأمر الذي جاءهم ليس فيه أوصاف وهم لو ذبحوا أية بقرة لقضى الله لهم الأمر لكنه جدالهم الذي سيدفعون ثمنه وهاهو سؤالهم الأول وقد قالوا لموسى صف لنا البقرة التي نذبحها فإن البقر تشابه علينا فقال لهم موسى إن الله يخبركم من أوصافها بأنها بقرة ليست بصغيرة

وليست بكبيرة وهي في عمر متوسط بين هذا وذاك فسألوا عن لونها فقال لهم موسى إنها بقرة صفراء ذات لون زاهٍ فطلبوا من موسى أن يسأل ربه مزيداً من الصفات لأن الأمر تشابه عليهم فأفادهم موسى بما أوحى الله إليه وقال لهم إنها بقرة لم تعمل من قبل في سقى الأرض ولا حرثها ولا شيء فيها من العيوب وهي ذات لون واحد هو اللون الأصفر وعجز القوم عن تتابع الأسئلة لموسى وقالوا لموسى الآن جئت بالحق وسوف نبحث عن هذه البقرة لنذبحها وطال بحث القوم عن البقرة وهم لا يجدون بقرة تحمل ما معهم من صفات ولكنهم في آخر أمرهم وجدوا بقرة تطابق ما معهم من صفات ولا يوجد شبيه لها وكانت الصاعقة لهم بأن هذه البقرة هي ذاتها العجل الذي أطلقه عاميل بالصحراء تجارة مع الله لابنه وهاهي وقد عادت إلى ابنه وهم أذلاء إليه لشرائها منه وعلم ابن عاميل مدى حاجتهم إلى بقرته فرفض بيعها لهم إلا بسعر يساوي أضعاف أضعاف أمثالها واضطر القوم إلى دفع الثمن واضطر القوم إلى دفع أرباح تجارة عاميل مع ربه وأخذ القوم البقرة وذهبوا بها إلى موسى وتم جمع القوم كافة حول القتيل وتم ذبح البقرة وتم أخذ بعض منها وضرب به الميت لقد تم ضرب الميت بجزء من ميت فبعث الله الروح في القتيل وهب واقفاً وأشار إلى قاتله ثم عاد إلى موته وسط ذهول شديد من كل القوم وكان هذا الحدث تأكيداً من الله لهؤلاء القوم على أن الموت لابد بعده من بعث والبعث لابد بعده من حساب والحساب لابد بعده من ثواب أو عقاب وعليه لابد لهم من طاعة رب الأرباب وفيما سبق جاء قول الله تعالى:

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَْٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾

فساد القلوب وتحريف الكتاب:

ماذا كان من بني إسرائيل بعد هذه الحادثة الكبرى والبيان الساطع للبعث والحساب والثواب والعقاب، هل سكن الإيمان قلوب هؤلاء القوم؟ كلا وألف كلا إنهم قوم سرعان ما تزول عنهم أنوار الإيمان ليسكن محلها الظلام تلو الظلام وكيف لا وهم القوم الذين وصف الله قلوبهم بأنها كالحجارة أو أشد قسوة خاصة وأن كثيرا من الحجارة ما تأتي مياه الأنهار من حولها وكثير من الحجارة في باطن الأرض، تأتي مياه الآبار أيضاً من حولها ولكن هؤلاء القوم لا يلتصق بقلوبهم سوى شرور الظلام وهذا دوما عهدهم في كل زمان وفي كل مكان وعجب كل العجب لأحوال هؤلاء القوم وهم أصحاب رسالة سماوية رفعتهم على كل من كان حولهم في عهد رسلهم وجعلتهم وكأنهم شعب الله المختار وقد كانوا أذل الناس فجعلتهم رسالات السماء أعز الناس في زمان أنبيائهم فماذا كان من هؤلاء القوم مع رسلهم ورسالتهم لقد قتلوا كثيراً من أنبيائهم وحرفوا الكثير مما أمرهم به ربهم تبعا لأهوائهم وكان أهم ما حذفوه من كتابهم هو كل ما كانوا يبشرون به عن الرسالة الخاتم ورسولها وما كان ذلك منهم إلا لأن لرسول الخاتم جاء من قوم غيرهم وقد كانوا متأكدين أنه لابد منهم ولكنهم جاءهم من الله حرمانهم من كل ما كانوا يتعالون به على كل من حولهم لتكون الرسالة الخاتم بكل علاها الذي يعلمونه بعيدة عنهم إنها في ذرية إسماعيل تصديقاً من الله لدعاء إبراهيم وإسماعيل عند إقامتهما لقواعد البيت ﴿ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولاً مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (البقرة: ١٢٩) وجاءت تلبية الدعاء من الله مصحوبة بعلا الأنوار لتجلي أن حرمان بني إسرائيل من رسالات الله وأنواره ليس إلا لعلا ظلامهم وكيف لا وهم الذين حرفوا الكلام ونسجوا الأوهام وعلاهم الطغيان حتى صار ظلامهم عالياً في البنيان على ظلام الشيطان وما سبق جاء فيه قول الله تعالى في سورة البقرة:

ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ۞ أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعۡدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ قَالُوٓاْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعۡلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ﴿٧٩﴾



كذب النجاة من النار:

كان بنو إسرائيل قبل رسالة الإسلام قوماً متعالين على أهل المدينة بأقوالهم بأنهم أصحاب رسالة سماوية وأن رسل الله لا تكون إلا منهم لأنهم عند الله هم الشعب المختار ولم يكن ذلك لهم حق إلا في زمانهم زمن رسلهم وأنبيائهم فقط ولكنهم بعد ظلام قلوبهم جاءهم من الله حرمانهم وجاء رسول الرسالة الخاتم من قوم غيرهم وهم الذين كانوا يبشرون به من كتابهم كل ذلك لأنهم كانوا ظانين أن هذا العلا لابد سيكون لهم وحين جاء الرسول الخاتم من قوم غيرهم حذفوا من كتابهم كل ما يشير إلي الرسالة الخاتم ورسولها وجاءت الرسالة الخاتم فاضحة لهم شرورهم وفاضحة لهم، لماذا جاءهم من الله حرمانهم ولم يجد هؤلاء القوم ما يردون به على فضح الرسالة لهم إلا ترديدهم بألسنتهم بما أوهموا به أنفسهم وأمثالهم وحاولوا إيهام المسلمين به ألا وهو أن عذاب الله لبني إسرائيل في النار لن يكون إلا أياما معدودة ولكن الرسالة الخاتم جاءت فاضحة لهم بأن أعمالهم توجب ضرورة استمرار عذابهم وجاء في ذلك قوله تعالى: ﴿ **وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَـٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّـٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٨﴾** ﴾ (المائدة: ١٨)، كيف يمدح هؤلاء القوم أنفسهم ويقولون بأنهم أحباء الله وهم الذين أعرضوا عن دعوته وحرفوا رسالته وهم لم يوافقوا على أن تكون رسالات السماء هي الحكم بينهم وبين كل من خالف فسادهم وجاء فيهم قول الله ﴿ **وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾** ﴾ (المائدة: ١٠٤) فمن أين لهم المدح ومن أين لهم الاصطفاء وهم القوم الملعونون وهم القوم المفضوحون وهاهي رسالة خاتم الرسل تفضحهم وتتحداهم في قوله تعالى ﴿ **قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ**

﴿ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴾ (البقرة: ٩٤ – ٩٦) فهل بعد هذا التحدي وهذا الفضح يجرؤ هؤلاء القوم بالحديث بأن عذابهم في النار لن يكون إلا إياماً قليلة وأن الجنة عند الله ليست إلا لمن هو يهودي أو نصراني ويتحداهم الله في قوله ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ (البقرة: ١١١)، وكثير وكثير مثل الفضح الذي سبق والحساب عند الله ليس فيه مجاملة لأحد كل عباد الله توزن أعمالهم عنده بميزان واحد إلا وهو ميزان ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (الزلزلة: ٧– ٨)، فأين هؤلاء القوم أمام هذا لميزان ومن أين جاءهم إيهامهم لأنفسهم بأنهم سوف يدخلون الجنة بغير حساب لأنهم أبناء نبي الله يعقوب إن هذا الأمر عند الله ليس إلا لأبي بكر الصديق وأمثاله كما قال سيدنا رسول الله لأصحابه عمر أول من يلقى كتابه بيمينه فتسائل الصحابة وأين أبا بكر يا رسول الله فقال لهم الرسول أبا بكر يدخل الجنة بغير حساب وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:

وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾

صدق الله العظيم

جهود الوالدين في بني إسرائيل:

لم يسلم الأباء في بني إسرائيل من جحود أبنائهم لهم ذلك لأنهم قوم تغلبهم دوماً شهوات المال وشهوات النساء وهم جاءهم من الله الإعلاء للوالدين على كل شهوات الدنيا وليس هذا الإعلاء فقط للوالدين بل إنه لكل ذوي القربى والمساكين وهاهم وقد جاءهم الأمر من الله بالقول الحسن لكل الناس ولكن هؤلاء القوم كل ما أمرهم الله به لا يعني عندهم سوى الكبت لشهواتهم وأهوائهم وفسادهم عندهم هو كل حياتهم إنه فساد قلوبهم ويرشدهم الله نحو إصلاحهم لقلوبهم بإقامتهم لصلواتهم وتأديتهم لزكاتهم عسى أن يعلوا فيهم إيمانهم ويحافظوا على ميثاقهم مع ربهم ولكن هيهات هيهات مع قوم الإيمان عندهم ممات، وفيما سبق جاء قول الله تعالى في سورة البقرة:

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

صدق الله العظيم

القتل بينهم والفضح بألسنتهم:

كان بنو إسرائيل بعد هروبهم من بطش الرومان يعيشون في المدينة بين قبيلتي الأوس والخزرج وقد كان القتال كثيراً ما يحدث بين القبيلتين فكان كل يهودي في قبيلة يحارب أخاه اليهودي في القبيلة الأخرى وليس هذا فقط بل كان يخرجه من داره ويعرضه للأسر رغم أن كل هذه الأفعال محرمة عليهم في التوراة إلا أنهم تعلو عليهم دائما شهوات الدنيا وزينتها ولم تكن الرسالة عندهم يوماً هدفاً في حياتهم وما هي لهم دوماً إلا هدفاً يترفعون به على كل غيرهم وإذا كان هذا هو حال قوم مع رسالتهم فكيف بهم مع رسالة جاءت في قوم غيرهم وهي التي جاءت فاضحة لهم بلاء شرورهم إنهم لم يكن منهم لها إلا بغضها ومحاربتها وكيف لا يكونون هكذا وهم الذين فعلوا ما فعلوه مع رسلهم وأنبيائهم وهم الذين كانوا أول طلب منهم بعد أن نجاهم الله مع فرعون وقومه كان أن طلبوا من رسولهم بأن يجعل لهم أصناماً يعبدونها كما كان حال قوم حولهم إنهم الذين عبدوا العجل حين ذهب رسولهم لميقات ربه وهم الذين تمردوا على نصوص التوراة حتى رفع الله فوقهم الجبل وخروا لله سجدا إنهم الذين فضحهم سيدنا رسول الله حين قالوا له إن الجنة عند الله معدة لهم وأعجزهم الرسول حين طلب منهم تأكيدهم لقولهم بتمنيهم الموت ليذهبوا إلى الجنات وحينها ارتعدت فرائضهم من كلمة الموت وتمنى الواحد منهم لو أن له من العمر ألف سنة ليهرب من النار وعذابها وما ذلك بمبعد لهم لو كان إنهم القوم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة إنهم القوم الذين لم يكن لهم عهد مع أي من رسل الله إليهم فكيف يكون لأصحاب السفاهات عند الله الجنات، وهم قوم لم يأخذوا من كتابهم إلا ما وافق أهواءهم ليترفعوا به على غيرهم أي أن ما أخذوه من كتاب الله ليس ابتغاءً لوجه والله لا يقبل إلا ما ابتغى به وجهه، وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾

غلف القلوب:

كل ما سبق ذكره عن بني إسرائيل يؤكد على الدوام حدث بعد حدث بأن هؤلاء القوم قد اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة وهم في فعلهم هذا قد باعوا جنات النعيم واشتروا بها عذاب الجحيم وما جاء السخط لهم إلا لأنهم طبع الله على قلوبهم فهم لا يفقهون والله ما طبع على هذه القلوب إلا من كثرة فسادها وزود طغيانها وأي فساد وأي طغيان أكثر من جدالهم الدائم مع أوامر ربهم وعنادهم مع رسلهم وتقتيلهم لأنبيائهم فكيف بهؤلاء وأمثالهم مع أي قوم غيرهم أو رسول لربهم ليس من بينهم ورسالته فاضحة لكل شرورهم إنهم لن يكون منهم إلا علا بغضهم وعلا ظلام قلوبهم وهاهم والرسالة الخاتم التي بشروا بها يحاربونها ويقولون إنها ليست لهم وأنهم كفاهم ما عندهم من رسالات مع أن رسالاتهم لم تلقي منهم إلا الإهانات والتحديات وكيف لا والإيمان عندهم ممات والفسوق عندهم ثبات، وما سبق جاءت فيه الآيات:

أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَأَيَّدْنَـٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَـٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾

صدق الله العظيم

لمحات من سوابقهم:

الحوادث المظلمة في حياة بني إسرائيل ليس بينها انقطاع وذلك فيهم إلى يوم القيامة أي أن ظلامهم في الماضي لا يختلف عن ظلامهم في الحاضر كلها فقط ظلمات تناسب أزمانها وتناسب أحداثها وما كان في ماضيهم من عبادتهم العجل حين موعد رسولهم مع ربه وما كان منهم حين تمردهم على التوراة واختيارهم لما يناسبهم وما لا يناسبهم حتى رفع الله فوقهم الجبل وخروا سجداً وأعلنوا التوبة والطاعة وبعد هذا كله جاء منهم قولهم للرسول الخاتم بأنهم شعب الله المختار وأنهم دون كل غيرهم عند ربهم خيار من خيار وأنهم أصحاب جنات النعيم حتى فضحهم خاتم المرسلين بأمر رب العالمين وقال لهم تمنوا الموت إن كنتم صادقين لتذهبوا إلى جنات النعيم وبدلاً من تمني الموت تمنى الواحد منهم لو أن له من العمر ألف سنة ظاناً منه في نفسه أن ذلك مبعد له عن النار وما هو بمبعد لو حدث وليس المقصود بالألف سنة هنا تحديداً الألف سنة بل المقصود هو تمنى أقصى امتداد يمكن أن يصل إليه العمر هرباً من عذاب النار وهذا الأمر في التمثيل الزماني ليس إلا كما قول الله لرسوله (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم أن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم). الأمر هنا فقط تمثيل زماني بامتداد الزمن إلى أقصاه وليس تحديده فلو أن الرسول استغفر للمنافقين أكثر من السبعين فأيضاً لن يغفر الله لهم تماماً كما الأمر في ليلة القدر وأنها خير من ألف شهر هي ليست فقط خير من ألف شهر ولكنها خير لكل امتداد لشهر بعد شهر وحتى نهاية الدهر وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:

۞ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾ قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾

العداء لجبريل:

كان من جدال بني إسرائيل مع خاتم المرسلين أن جاء وفد منهم إلى سيدنا رسول الله وقالوا له نسألك بعض الأسئلة إن جاءت إجاباتك عليها صحيحة عرفنا أنك رسول وأمنا بك وكان بدء سؤالهم أخبرنا عن علامة النبي ؟ فأجابهم رسول الله بأن عيناه تنام ولا ينام قلبه.

وجاء سؤالهم التالي أخبرنا كيف تؤنث المرأة وكيف تذكر؟ فأجابهم بأنه إذا علا ماء الرجل ماء المرأة ذكرت، وإذا علا ماء المرأة ماء الرجل أنثت، ثم جاء سؤالهم أخبرنا ما حرم إسرائيل على نفسه ؟ قال كان يشتكي عرق النسا فلم يجد شيئاً يلائمه إلا ألبان كذا (يقصد الإبل) وهي محرم لحومها، ثم جاء سؤالهم أخبرنا عن هذا الرعد ؟ قال ملك من الله عز وجل موكل السحاب بيديه أو في يديه مخراق من نار يزجر به السحاب يسوقه حيث أمره الله تعالى قالوا صدقت، وجاء سؤالهم الأخير أخبرنا من صاحبك "أي من الملائكة يأتيك بالرسالة" قال: جبريل، قالوا: ذاك الذي ينزل بالحرب والقتال والعذاب عدونا لو قلت ميكائيل وهو الذي ينزل بالرحمة والفطر والنبات لأمنا بك عجباً وألف عجب لهؤلاء القوم هل هم الذين يختارون رسل الله لرسالات السماء وجبريل موكل من الله بكل رسالات السماء وكل رسل الله عنده سواسية وكلٌ مكلف بما أمره الله به، وسأل هؤلاء القوم عمر بن الخطاب في ذلك عن منزلة جبريل و ميكائيل عند الله فكان أن قال لهم إن الله عدو لمن عادهما وسلم لمن سألمهما فأحدهما عن يمينه والآخر عن يساره، هكذا انتقل ظلام قلوب بني إسرائيل من عدائهم لرسل الله إلى عدائهم لرسل رسل الله ملائكته الكرام وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:

قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۖ وَمَا يَكۡفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿١٠١﴾

الافتراء على نبي الله سليمان:

الأحداث المظلمة في حياة بني إسرائيل أحداث متعاقبة لا انقطاع بينها والأزمنة الطارئة التي يكون لهم فيها علو الإيمان لا تأتي لهم إلا حين يكون أمامهم دوافع قوية تفرض عليهم الإيمان فرضا وهذا الإيمان مهما كان ظاهراً لا يسمى إيمان لأنه ليس مصحوباً بشيء من الاطمئنان ولكنه يكون مدفوعاً من علا للسلطان وهاهو مثال دال على كل حياتهم حيث كان القوم في حياة نبي الله سليمان لم يكن منهم إليه إلا السمع والطاعة ولم يكن أحد منهم يستطيع العيب في سليمان ولا حتى وهو في الصحراء أو بينه وبين نفسه وكيف لا والجان كانت تخشى سليمان ولكن بني إسرائيل ما أن تأكد لهم موت سليمان وقد أكلت دابة الأرض منسأته حتى كان بنو إسرائيل وكأنهم كانوا مساجين مات سجانهم، وهاهم وقد صار لسانهم يطول على نبيهم سليمان وهاهم وقد قالوا إن سلطان سليمان عليهم لم يكن سلطان من الله ولكنه كان سلطان من السحر الذي منعهم منه وأخذ منهم كتبه ووضعها تحت كرسي عرشه وهاهم وقد اقتربوا من الكرسي وكانوا لا يستطيعون الاقتراب منه وأخرجوا من تحته ما أخفاه عنهم سليمان من كتب السحر وأخرجوا كتاب وزيره أصف ووضعوا فيه من كلمات كتب السحر ونسبوها إلى سليمان ليؤكدوا أن سلطان سليمان عليهم ما كان إلا من سلطان السحر وأنزل الله الملكين ببابل وهاروت ليعلما الناس حقيقة السحر وأنه لا سلطان له إلا بأمر الله وأنه لا يفرق بين الزوجين إلا بأمر الله وبهذا تتجلى حقيقة السحر وبيان أن سلطان سليمان كان من الله وهو سلطان لم ولن يكون لأحد بعده وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:

وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾

لم يترك يهود المدينة سبيلاً أمامهم يحاربون به الإسلام إلا اتبعوه صغيراً كان أم كبيراً وهاهم وقد كان منهم قولهم لرسول الله السام عليكم وهي كلمة تعني الموت وسبتهم عائشة وهدأ منها رسول الله وقال لها أما سمعتِ ما قلته لهم لقد قلت لهم وعليكم وهاهم وقد جاء منهم سعيهم لفتنة ضلال اللسان بين صحابة رسول الله وقد قالوا لهم وكأنهم لهم ناصحون إذا أردتم أن ينتبه رسول الله إليكم دون غيركم من الصحابة فعليكم بمناداته راعنا والكلمة ظاهرها عظيم الحاجة وباطنها الخبث وزيادة حيث كلمة راعنا في باطنها تعني الرعونة أو كأنها النداء الذي ينادي به صاحب الغنم على غنام عنده وهي تعني عند العبرانيين أسمع لا سمعت وهو قول كان ينطق به أهل الحجاز حيث ينادون به على شخص يسخرون منه هكذا كان مكر اليهود مع صحابة رسول الله ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين ويفضح الله لرسوله ظلامهم ويبدله كلمة يناديه بها صحابته وهي قول أنظرنا وما سبق جاء في قول الله تعالى في سورة البقرة:

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٠٤﴾ مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾

صدق الله العظيم

فتنة النسخ في القرآن:

حاول يهود المدينة تشكيك المسلمين في القرآن واستغلوا في ذلك قضية النسخ وجاء منهم قولهم بأن رسالات السماء عندهم جاءتهم دفعة واحدة ولم يحدث فيها نسخ وقالوا إن رسالات السماء لا يجوز فيها النسـخ وأن النسـخ يقلل من الشأن ويشكك في صدق الرسالة مع أن النسخ قضية تدعوا إلى التأكيد في الرسالة الخاتم وليس إلى التشكيك فيها حيث أن النسخ في القرآن لم يأتي إلا في الأحكام وكان أول ما جاء نسخه في القرآن إتجاه القبلة وأحكام الإسلام لن يكون بعدها أحكام أخرى وعليه لزم التدرج في صدور الحكم لسهولة استيعابه لأنها أحكام للناس كافة وليست لقوم خاصة كما قال الله تعالى لرسـوله ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾ (الأنبياء: ١٠٧)، وكلمة للعالمين كما هو مفهومها في فاتحة الكتاب تعني كل عالم خلقه الله من عالم الإنس والجن والملائكة والنبات والحيوان وغيرها من العوالم ذلك لأن القرآن عند الله هو دستور عبادة المخلوقات لخالقها ودليل ذلك أن تعليم القرآن عند الله جاء سابق لخلق الإنسان كما قال الله تعالى:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ﴾

(الرحمن: ١-٤)، ومما سـبق يتجلى أمامنا أن القرآن ليس دستور عبادة لبني الإنسان فقط وجاء تأكيد ذلك حين سـأل سيدنا رسول الله جبريل وقال له وهل نالك شيء من رحمتي يا جبريل فقال جبريل لسيدنا رسول الله نعم وقرأ عليه قوله تعالى ﴿ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ٢١ ﴾ (التكوير: ٢٠-٢١)، أي أن جبريـل نـاله من رحمات محمد التأمين ودستور القرآن جاء لأمة الإسلام كاملاً دون كل سابقهم من العالمين وكل غيرهم له فقط بعض من أنواره ولأن الدسـتور جاء لأمة الإسـلام كاملا فكان لابد أن يكون في الأحكام تدرج لسـهولة الاسـتيعاب وهاهو مثال من تدرج الأحكام حيث قال عمر بن الخطاب لسيدنا رسول الله أدعو الله، يبين لنا في الخمر بيانا فجاء قول الله تعالى: ﴿ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩ ﴾ (البقرة: ٢١٩)،

وظاهر الآية يدلل أمامنا بأن أضــرار الخمر أكبر من منافعها وذلك يعني الخسارة والمفروض أن الأمر الذي فيه خسارة لابد من تجنبه ولكن التحريم هنا ليس جازماً أو صريحاً فقال المسلمون نأخذ منافعها ونترك مضــارها فدعا ذلك عمر بن الخطاب إلى تجديد طلبه إلى سيدنا رسول الله بطلب بيان من الله أكثر وضــوحاً ودعا سيدنا رسول الله وجاء قول الله تعالى: ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقْرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُواْ ۚ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾** ﴾ (النساء: ٤٣)، وهذا البيان جاء أكثر حزما من سابقه حيث صلوات المسلمين في اليوم هي خمس صلوات والزمن بين الصلاة والصلاة لا يسمح بشرب الخمر ولكن التحريم هنا ليس جازماً وليس صــريحاً مما دعا عمر بن الخطاب لتكرار طلبه من سيدنا رسول الله ودعا سيدنا رسول الله فكان أن جاء أمر الله جازماً وصـــريحاً بالتحريم في قوله تعالى : ﴿ **يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾** ﴾ (المائدة: ٩٠ – ٩١)، ففرح عمر بن الخطاب بالتحريم الجازم وقال انتهينا وهذه آيات جاءت حول النســخ وكلها تؤكد أن النسخ علا قدر وليس قله قدر (البقرة: ١٠٦-١٠٧) ﴿ **۞ مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾** ﴾ (الجاثية ٢٥) ﴿ **هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾** ﴾ وكيف لا يكون نسخ الأحكام علا قدر وهو سنه الله مع الرسالات قبل محمد والرسالات لا تنسخ بعضها بعضاً كما في الآيات (النور ٣) ﴿ **ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾** ﴾ (الشورى: ١٣)

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِ ۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾ (الأنبياء: ٢٥) ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ (البقرة: ١٨٣) ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ﴾ (الحج: ٢٧) ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾

هكذا كان التدرج من الله حكمه لسهولة استيعاب الحكم وذلك أمر يدعو لتأكيد علا الرسالة وليس للتشكيك فيها، ولماذا التشكيك والنسخ من الله موجود منذ بدء خلق آدم وهو من الله سنة إلى كل أنبيائه قبل الرسول الخاتم وهاهو آدم كان زواج الأختين في بدء استخلافه مباحاً ثم جاء نسخ الحكم وهاهو نوح وهو في السفينة كان مباحاً له أكل لحوم الطير والحيوان جميعها ثم جاء نسخ الحكم وعند نبي إسرائيل كان مباحاً عندهم زواج الأختين ثم جاء نسخ الحكم أي أن النسخ في كل أحواله رحمة والرحمة تدعو للتأكيد وليس للتشكيك، هكذا يكون كل ما سبق ليس إلا فضحاً لظلام قلوب بني إسرائيل وعلى المسلمين بأن لا يشغلوا أنفسهم بتفاهات بني إسرائيل وأن يشغلوا أنفسهم فقط بأنوار الإيمان بإقامتهم للصلاة وإيتائهم للزكاة وفيها سبق جاء قول الله تعالى في سورة البقرة:

۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٍ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآ ۗ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُ ۗ وَمَن يَتَبَدَّلِ ٱلۡكُفۡرَ بِٱلۡإِيمَـٰنِ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَـٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَـٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّ ۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِىَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنۡ خَيۡرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾

صدق الله العظيم

صراع اليهود والنصارى:

الرسالة الخاتم كانت رسالة فاضحة لألسنة بني إسرائيل في كل ما كانوا يتعالون به على كل غيرهم ومن تلك الأقوال كان قولهم بأنهم شعب الله المختار وأن رسل الله لا تكون إلا منهم وأن الجنة عند الله ليست إلا لمن كان هوداً أو نصارى كيف والجنة عند الله ليست إلا لمن أسلم وجهه لله حنيفاً وما كان من المشركين وهذه صفات لا علاقة لبني إسرائيل بها وهاهو فضح منهم لأنفسهم بأنفسهم وقد واعد وفد من نصارى نجران سيدنا رسول الله لمقابلته وعلم يهود المدينة بالخبر فأصابهم الفزع خشية من أن يعلن وفد نجران إسلامهم لسيدنا رسول الله فترصدوا موعد حضورهم لزعزعتهم لو جاء منهم إعلان إسلامهم وحان موعد اللقاء وقد حدد لهم سيدنا رسول الله المسجد مكاناً ليتسع لعددهم وحضر اليهود اللقاء وحان عند بعض النصارى إقامة صلاة لهم فسمح لهم سيدنا رسول الله بإقامة الصلاة في المسجد وعند صلاتهم كانت وجهتهم نحو المشرق إلى بيت المقدس فحاول بعض الصحابة تغيير قبلتهم نحو البيت الحرام فمنعهم سيدنا رسول اله بسماحة الإسلام وعظمته وبدأت المناظرة بين وفد نجران وسيدنا رسول الله فاشتبك معهم يهود المدينة بالحوار واشتد الاشتباك بينهما وكل منهما يعلن للآخر أنه في دينه ليس إلا على باطل وكلاهما على حق لأن كلاً منهما حرف كلام الله في رسالته وكلاهما على باطل هكذا جاء الفضح منهم لأنفسهم بأنفسهم ليعلو الحق وتكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا السفلي وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:

> وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰۚ مَنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ فَلَهُۥٓ أَجۡرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١١٢﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَهُمۡ يَتۡلُونَ ٱلۡكِتَٰبَۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾



السعي لتخريب المساجد:

المسجد في الإسلام ليس فقط مكاناً تقام فيه الصلوات بل إنه مكان تنطلق منه كل توابع الصلوات بل وكل أركان الإسلام لأن المساجد في الإسلام ما هي إلا مراكز شحن لطاقات الإيمان في القلوب وهذه الطاقات عطاؤها دائم في حياة المسلمين وكلما ازدادت ازداد أعداء الإسلام غيظاً وهاهم بنو إسرائيل وقد ازداد غيظهم من المساجد وسحرها وكان أن جاء منهم سعيهم لوضع العراقيل المادية والمعنوية بين المسلمين ومساجدهم عسى الإقلال من علا أنوار الإيمان في قلوب المسلمين ولكن المساجد هي بيوت الله القوي المالك ولا يقترب من آذاها أحد إلا لابد هالك ويذكرنا ذلك بأبرهه حين جاء بفيله لهدم الكعبة وأخذ إبل عبد المطلب جد سيدنا رسول الله وما كان من عبد المطلب إلا أن ذهب إلى أبرهه وطلب منه الإبل وتعجب أبرهه وسأل عبد المطلب أتسأل عن الإبل ولا تسأل عن البيت الحرام وكانت المقولة الشهيرة لعبد المطلب أنا رب الإبل أما البيت فله رب يحميه وكان أن أهلك الله أبرهه وجيشه وفيله بالطير الأبابيل هكذا كل بيوت الله في الأرض هو حاميها وحارسها ولكن بني إسرائيل لا يفهمون، وهاهم وقد استغلوا حادثة تغير القبلة لتشكيك المسلمين في رسالتهم وقبلتهم سعياً منهم لإعلاء قبلتهم قبلة بيت المقدس على قبلة بيت الله الحرام أول بيت وضع للناس في الأرض وقبلتهم ما كانت إلا بعد البيت الحرام بأربعين سنة وهي قبلة لم يكن منهم لها يوماً قدسيه وتاريخهم يشهد بأنهم قد ساعدوا المجوس حين تخريبهم لبيت المقدس وشابههم في فعلهم نصارى الروم فمنذ متى كان منهم إعلائهم لمقدساتهم واستمر اليهود في محاربتهم لمساجد المسلمين حتى شاء الله بطردهم من المدينه و ما سبق جاء فيه قول الله تعالى في سورة البقره:

> وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾



الشرك والكفر ملة واحدة:

أي عقيدة غير عقيدة توحيد الألوهية وتعظيم الربوبية ليست إلا عقيدة كفر والكفر على اختلاف أشكاله ليس إلا ملة واحدة وكلهم قال الله فيهم (تشابهت قلوبهم) وهاهم النصارى وقد قالوا إن عيسى ابن الله مع أن الميلاد لا يكون إلا من اثنين من جنس واحد، **ولماذا يكون عيسى ابن الله؟** والله ليس في حاجة لأن يكون له ولد وكل ما في الكون ليس إلا خلقاً من خلقه فكيف يكون خلقه ابنه ولو كان عيسى ابن الله، **فلماذا لم ينقذه أبوه كما يدعون له من حادثة الصلب كما أنقذ إبراهيم من النار وإبراهيم ليس إلا رسول الله كما عيسى رسول الله** فكيف ينقذ الله رسوله إبراهيم ويترك ابنه عيسي الذي يدعون بأنه ابن الله إن هؤلاء يكذبون أنفسهم بأنفسهم لأنه لو كان عيسى ابن الله لكان لابد حاملاً لصفات الألوهية هو الآخر فكيف لم يستطع عيسى الدفاع عن نفسه من هول حادثة الصلب التي زعموها له وهو حامل لصفات الألوهية إنهم بقولهم هذا جعلوا عيسى مثله مثل الأصنام التي حطمها إبراهيم حين لم تستطع الدفاع عن نفسها أي أنهم أهانوا قدر عيسى ولم يرفعوه إن هؤلاء القوم ما قالوا ما قالوه عن عيسى إلا ظناً منهم بأن قولهم بتألية عيسى فيه رفعة لعيسى يتبعها رفعة لهم ولقساوستهم، وهاهم قساوستهم وقد جعلوا من أنفسهم وكأنهم أصحاب مكاتب عقارات لهم الحق في بيع مساحات من الجنات لمن يدفع لهم الماليات أو يعطيهم الدرجات ولم يكتفوا بذلك بل جعلوا من أنفسهم باباً إلى الله لمغفرة الذنوب بما أسموه عندهم بكرسي الاعتراف وشابههم اليهود في أقوالهم وقد قالوا هم الآخرون إن عزيزاً ابن الله تماماً كما فعل كفار مكة وقد قالوا إن الملائكة بنات الله وبعد كل هذا الكفر وكل هذا الشرك بالله يقول بنوا إسرائيل لمحمد اسأل ربك أن يكلمنا حتى نتأكد أنك رسوله ونؤمن بك كيف لهم ذلك وهم يعلمون ما حدث لموسى حين قال ربي أرني أنظر إليك، وأيضاً ما حدث لصفوتهم حين قالوا لموسى نريد أن يكلمنا الله لقد أخذهم الله بالصاعقة إن أنوار الله لا طاقة لخلقه بها ولا طاقة لكل من باعد بينه وبين أنوار الإيمان بإدراك عظماتها ﴿ **وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨** ﴾ (البقرة: ١١٨)، وفيما سبق سرده من بيان جاء فيه قول الله تعالى في سورة البقرة:

وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾



عزاء الرسول في بني إسرائيل ونهاية سردهم:

الحديث عن غير المؤمنين الصالحين دوماً يكون حديثاً ذا منهجية واحدة ذلك لأن الكفر دوما ملة واحدة ولو أراد الله أن يجعل الناس أمة واحدة لجعلهم ولكن الكفر والإيمان اختبار لقوة الإيمان في قلوب كل بني الإنسان ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ﴾ (الشورى: ٨)، ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (يونس: ٩٩)،

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (النحل: ٩٣)، وقال تعالى: ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ (البلد: ١٠)، أي أن الحلال بين والحرام بين وكل إنسان في الدنيا مسئول عما يختاره لنفسه ليكون وحيداً يوم القيامة بما اختاره لنفسه: ﴿ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ ﴾ (عبس: ٣٤- ٣٧)، وعلى ما سبق فإن كل من يحمل لواء الدعوة ليس عليه إلا الدعوة ولا إكراه منه لأحد في الدين وهذا آدم عليه السلام وقد علم أبنية قابيل وهابيل الحلال والحرام وكل اختار لنفسه ما اختار وليس في ذلك آية مسئولية على آدم أي أن مسئولية حاملي لواء الدعوة ليس عليهم فيها إلا البلاغ، وطمأن الله خاتم رسله بقوله ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ ﴾ (البقرة: ١١٩)، وقولـــه ﴿ وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا ٱلْحِسَابُ ﴿٤٠﴾ ﴾ (الرعد: ٤٠)، وكل من لم يؤمن برسالة النبي جاءه من الله فيهم قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (الكهف: ٢٩)،

بنو إسرائيل لم يكن منهم خيراً مع رسلهم وأنبيائهم كما سبق وتجلى أمامنا فكيف ينتظر منهم الإيمان برسالة جاءت على رسول من غير قومهم والرسالة جاء فيها الفضح لكل ظلام قلوبهم وعليه فإنه لم يؤمن منهم إلا القلة تماما كما كان حالهم مع كل رسلهم وأنبيائهم وعلى الرسول الخاتم ألا يحزن لعدم تجلى الإيمان وعلا الفساد والطغيان من قوم تعالت أصواتهم بكلمات الإيمان وهم ظل الشيطان في كل ما كان لهم من مكان وقد ملأت رؤوسهم الأوهام بأن أبيهم يعقوب شفيعهم عند ربهم الرحمن وحتى لو كان ليعقوب شفاعة لهم فالشفاعة لا تكون إلا فيما اضطر إليه وليس فيما عقد عليه العزم وهكذا يكون سرد بني إسرائيل في سورة البقرة قد وصل إلى نهايته وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٩﴾ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٢١﴾ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٢﴾ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٣﴾

صدق الله العظيم

۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَـٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

ظلال بدء حياة إبراهيم

إبراهيم وبدء دعوته:

أنوار الإيمان في صدر إبراهيم كانت فيه منذ طفولته وكانت هذه الأنوار في صدره وكأنها طائر حبيس يريد أن يستنشق نسمات الحرية وبدأ باب الحرية لما في صدر إبراهيم يجلو شيئاً فشيئاً مع تقدم الأيام وكان لابد لإبراهيم أن يصارع كل ما يغلق عليه هذا الباب وكان بدء هذا الصراع لإبراهيم مع والديه وصراع الوالدين كم هو شديد صعوبته ولكن إبراهيم لم يأبه من هول هذه المواجهة لأن أنوار الإيمان في صدره كانت أكبر من الدنيا وما فيها فصغر أمام إبراهيم مواجهته لوالديه وأبت نفس إبراهيم الأكل من الطعام الذي هو من رزق أبيه في صناعته للأصنام إنها مواجهة عملية وليست فقط مواجهة كلامية وبدأ إبراهيم في عمله برعي الأغنام ليكون طعامه من عمل يده طاهراً وما كان إبراهيم في ذلك إلا مندفعاً مما وهبه الله ﴿ ۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ ﴾ (الأنبياء: ٥١)، إن الرشد في حياة إبراهيم طاقة لا تنقطع وهاهو من أنوار رشده يبحث عن أنوار ربه كما جاء في سورة الأنعام

﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا ۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى ۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ ۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾ (الأنعام: ٧٦ – ٧٩)، هكذا هدت فطرة إبراهيم قلبه إلى أنوار الإيمان بربه وبدأت أبواب الحرية للأنوار في صدر إبراهيم تنفتح على مصراعيها وبدأ التوافق بين ما في قلب إبراهيم وعقله يتجلى واضحاً وبدأت الحيرة في الابتعاد عنه وهاهو إبراهيم وقد وجه وجهه للذي فطر السماوات والأرض حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين وترشدنا سورة الأنعام نحو ذلك البدء:

﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ ۚ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ ۚ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا ۗ وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (الأنعام: ٧٩ – ٨٠)، وبدأت بصمات الأنوار في صدر إبراهيم تعلو شيئاً فشيئاً وبدأت هذه الأنوار تتجلى على بعض ممن حوله ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ ﴾ (الأنعام: ٨٣)، وتعالت دعوة إبراهيم لوالديه عسى الله أن يذهب عنهما ظلام الكفر وترشدنا سورة مريم عن ذلك

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ ۖ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ ﴾ (مريم: ٤١ – ٤٧) وضاق صدر إبراهيم ذرعا من عناد الكفر في والديه بل وفي الكثير من قومه فقرر اعتزال قومه كما ترشدنا سورة مريم: ﴿ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ ﴾ (مريم: ٤٨)، ومع هذه العزلة بدأت نفس إبراهيم تهفو نحو الزواج وفاتح إبراهيم والديه بما في نفسه فكان منهما فرحهما ظناً منهما بأن الزواج يمكن له أن ينسي إبراهيم ما في نفسه من أراء مخالفة لقومه وبدأ البحث عن عروس تناسب إبراهيم واختار إبراهيم أن تكون عروسة سارة ابنة عمه وبلغ الخبر سارة بأن إبراهيم قد اختارها لتكون عروساً له دون كل بنات القوم ولم تصدق نفس سارة أن تكون هي الفائزة بزينة شباب القوم إبراهيم إنه الذي لا يأكل إلا من عمل يديه، إنه الذي تعلو نفسه على الأصنام ولا يتذلل إليها مثل باقي القوم إنه الذي لا يلقى بنفسه في أحضان عاهرات المعابد كما هو حال شباب القوم إن إبراهيم

رجولة خاصة لا شبيه لها بين القوم وحان موعد عقد القران ولم يترك إبراهيم عقد قرانه بالمعبد كما هو الحال من كل شباب قومه إنه لا يعترف بالمعابد ولا يعترف بما فيها من أصنام وبدأ إبراهيم في بناء بيت الزوجية بنفسه وقام بإعداده خير إعداد كل ذلك وسارة تزداد سعادة بنزاهة إبراهيم زينة شباب القوم وتمر الأيام على زواج إبراهيم تلو الأيام وحياته وحياة زوجه سارة تزداد سعادة كل ذلك والقوم يترقبون متى ينسى إبراهيم ما يدعوهم إليه وهاهو إبراهيم لم ينسى ولم يصبه الضعف بل ازداد قوة في دعوته عن ذي قبل وزوجته سارة صارت عوناً له على دعوته ولم تجد أوهام القوم إلا الزلة وهاهم المؤمنون بإبراهيم وقد ازداد عددهم وتجلي أمام القوم أن زواج إبراهيم صار كارثة حلت بهم إن إبراهيم يزداد في دعوته قوة يوماً بعد يوم وهاهو إبراهيم وقد كان عائداً ذات يوم من الجبل وقد رأى ناراً مشتعلة في دار أبيه فسخر إبراهيم من أبيه وقال له لماذا لا تعبد هذه النيران وهي أقوى من الأصنام وتلتهما فقال له أبوه، **ولماذا لا تعبدها أنت يا إبراهيم ؟** فقال له إبراهيم أنا لا أعبدها لأنها ضعيفة والماء يطفئها هكذا كانت أنوار الإيمان في صدر إبراهيم تزداد علواً كل يوم عن سابقه وذات يوم وإبراهيم في خلوته بالجبل سمع نداءاً يناديه إنه أنا الله العزيز الحكيم فارتجف إبراهيم وهم بالهبوط من الجبل فإذا به يسمع نداء جبريل له يا إبراهيم أنت خليل الرحمن وازداد إبراهيم ارتجافاً وعاد مسرعاً إلى بيته وكان أن رأته زوجته سارة وهو مرتجف على غير عادته فأسرعت إليه متسائلة عما صار له فكان أن طمأنته سارة كما طمأنت السيدة خديجة سيدنا رسول الله وبدأت أنوار الإيمان في حياة إبراهيم تعلو عن ذي قبل علواً خاصاً إنه خليل الرحمن وكان مع إبراهيم بالبيت ابن أخيه لوط لأن الله لم يرزق إبراهيم بالذرية من سارة وكان متعارفاً عليه في مثل هذه الحالة أن يكون معه أحد أبناء إخوته يربيهم وازداد إيمان لوط بعمه كما ازداد إيمان سارة بزوجها وبدأت خيوط الإيمان تنسج لها نسيجاً خاصاً يناسب رفعة الله لها وهاهم قوم إبراهيم وقد اقترب عندهم يوم عيد لهم يذهبون فيه جميعاً مع مليكهم إلى المعبد وكان أن سبقهم إبراهيم إلى المعبد وقام بتحطيمه لأصنامهم إلا كبيرهم وضع على كتفه ما حطم به الأصنام وانصرف إبراهيم إلى بيته وحضر القوم ومليكهم إلى المعبد فوجدوا أصنامهم أمامهم محطمة إلا كبيرهم وتحول يوم عيدهم إلى يوم حزنهم ودارت فيهم تساؤلاتهم من الذي يمكنه أن يكون قد فعل هذه الفعلة وهداهم تفكيرهم إلى أنه ليس هناك من يمكنه فعل ذلك إلا إبراهيم إنه هو الذي دائم في تسفيهه للأصنام والسخرية منها وتم استدعاء إبراهيم لمقابلة المليك بالمعبد وحضر إبراهيم وحادثه مليك القوم وسأله عن من حطم الأصنام فكان أن قال إبراهيم للمليك والقوم، لماذا لا تسألوا الأصنام إنها زيادة في سخرية إبراهيم منهم ثم ازداد إبراهيم منهم سخرية وقال لهم اسألوا كبيرهم ربما يكون هو الذي حطمهم ولم يعد بعد

إجابات إبراهيم أمام القوم أي شك في أن إبراهيم هو الذي حطم الأصنام وكان أن قرر مليكهم ضرورة حرق إبراهيم أمام كل القوم ولم يأبه إبراهيم بكلام مليكهم وكأنه لم يسمعه وأشعل القوم ناراً شديدة وإبراهيم في هدوئه وكأن الأمر لا يعنيه وتم إلقاء إبراهيم في النيران وأوحي الله إلى إبراهيم بقراءة البسملة وكان أن قرأ إبراهيم البسملة فكانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم بأمر الرحمن الرحيم وكيف لا والبسملة من كنز تحت عرش الرحمن الرحيم كما علم خاتم المرسلين وتم انتهاء النيران والقوم ينتظرون رؤية ما حل بإبراهيم من نهاية وتصعقهم رؤيتهم لإبراهيم إنه وكأنه لم يكن بالنيران إن دخان النيران لم تصب حتى ملابس إبراهيم وكان الوضع صاعقاً للقوم ومليكهم وأسرع مليكهم لمسائلة إبراهيم من ربك الذي أنقذك يا إبراهيم فقال له إبراهيم إنه الله الذي لا إله إلا هو يحي ويميت وهو على كل شيء قدير فقال النمرود مليكهم أنا أحي وأميت فقال له إبراهيم إن الله يأتي بالشمس من المشرق فآت بها من المغرب فبهت القوم وبهت ملكيهم وقرروا الانصراف مبتعدين عن إبراهيم خائفين منه وقرر القوم الابتعاد عن إبراهيم وصحبه وصاروا هم الخائفين من غضب إبراهيم ورب إبراهيم إنه الخوف ذاته الذي لاحق فرعون بعد أن علا موسى بإعجازات الله عليه حتى بث مؤمن من آل فرعون الرعب في فرعون وقومه وقد سرد أمامهم صفات من عذاب الله لكل من اقترب بالإيذاء من الرسل السابقين وهاهي رحمات الله وعد دائم منه لكل عباده المتقين كما جاء بيان ذلك في سورة الزمر ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ بِمَفَازَتِهِمۡ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦١ ﴾ (الزمر (٦١).

صدق الله العظيم

هجرة إبراهيم قومه:

وجد إبراهيم بعد شديد عناد قومه أن أنوار الدعوة إلى الله ليست قاصرة على قومه بل هي لكل عباد الله وعلى إبراهيم أن يبحث عن أرض خصبة تنمو فيها الدعوة إلى الله إن الدعوة إلى الله عند إبراهيم أمانة عليه السعي لإيصالها إلى مستحقيها لأداء الأمانة وإبلاغها إلى كل مستحقيها والباحثين عنها واتجه إبراهيم ومن أمن معه إلى حاران لتوسيع حدود الدعوة وكانت حاران مركزاً تتلاقى فيها القوافل التجارية وبدأ إبراهيم دعوته بين القبائل القادمة من مصر إنهم بقايا رسالة إدريس وهاهم لديهم أصل للتوحيد ولديهم يقين بأنه بعد الموت لابد من بعث وحساب وثواب وعقاب وبدأت دائرة المؤمنين بإبراهيم تتسع يوماً بعد يوم حتى أفزع ذلك كهنة حاران خشية على سلطانهم فكان أن تم اتفاق الكهنة على موعد بينهم يهاجمون فيه إبراهيم وأتباعه وأوحي الله إلى إبراهيم بما كادوه له وأمره بضرورة الرحيل قبل وصولهم إليه وكان أن حضر جيش الكهنة إلى مكان إبراهيم فلم يجدوا أحداً وتعجب الكهنة من الذي أبلغ إبراهيم بموعد هجومهم عليه وهو أمر لا يعلمه سواهم وتحركت قافلة إبراهيم في مسيرها نحو الشام وحطت قافلة إبراهيم في بلاد الشام وكان قوم إبراهيم يحلبون أبقارهم كل مساء ويوزعون من ألبانها على القوم حولهم حتى أسمى القوم هذا المكان حلب وهو هكذا إلى الآن، واتسعت دائرة المؤمنين بدعوة إبراهيم، وفكر إبراهيم في توسيع دعوته فاتجه نحو دمشق حيث تتلاقى القوافل التجارية وتتلاقى حضارة بابل مع حضارة المصريين ووجد إبراهيم في تحركاته أرضاً شديدة الخصوبة لدعوته ودخل الكثير من أهل دمشق في دعوته حتى صار واحداً منها هو العون الأول لإبراهيم إنه اليعاذر الدمشقي وعلا سلطان دعوة إبراهيم في دمشق وخشي كهنة الكنعانيين على سلطانهم من إبراهيم ودعوته وهم لا طاقة لهم به فما كان منهم إلا أن لجأوا إلى الحيلة وإلى الخديعة وهاهم وقد حملوا قافلة لهم بالهدايا واتجهوا بها نحو فرعون مصر وأفزعوه من إبراهيم وأخبروه بأن إبراهيم يفتتح المدينة تلو الأخرى ولم يعد أمامه سوى الكنعانيين ثم مصر ولابد لهم من الهجوم عليه قبل أن يبدأ هو بالهجوم عليهم واقتنع فرعون مصر بكيدهم وجهز جيشاً قوياً قام بالهجوم المفاجئ على إبراهيم وقومه وتم أسر الكثير من أتباع إبراهيم وكان من بين الأسرى سارة زوجة إبراهيم ولم يشغل هذا الأمر إبراهيم عن مواصلته لدعوته وانتظر حتى يحين له من عند الله موعد تحريره للأسرى ولسارة، وهاهي سارة وهي في الأسر وقد علا الله بها وقد صارت وكأنها أميرة وليست أسيره، حيث حاول الفرعون الاقتراب منها فأسكت يده بقوة حتى توقفت يده عن الحركة وتوسل إليها الفرعون أن تدعو ربها ليذهب عنه ما أصابه حتى كان دعاء سارة لربها وذهاب

الأذى عن فرعون وابتعد الفرعون عن سارة لكنه ظل يراقبها عن بعد مستكشفاً عظم سلطانها فكان يراها في عبادة وتذلل دائم إلى الله وكأنها تراه وأمر الفرعون بضرورة تكريم سارة ومعاملتها كأميرة وليست أسيرة، وتمر الأيام وإبراهيم مشغول في توسيع حدود دعوته وحان عند إبراهيم الذهاب لفك أسر سارة ومن معها وأخذ إبراهيم معه صحبه وكان منهم ابن أخيه لوط و اليعاذر الدمشقي واتجه الوفد نحو قصر الفرعون وسأل إبراهيم الفرعون عن الدية المطلوبة لفك أسر سارة ومن معها ويفاجئ الفرعون إبراهيم بقوله إن سارة ليست أسيرة ولكنها أميرة ومن معها في الأسر مكرم من أجلها وما زوجها وصحبه إلا ضيوف على فرعون وقومه وعرف إبراهيم كيف علا الله بسارة على فرعون وقومه وبدأت ضيافة فرعون لإبراهيم وصحبه وسمع إبراهيم من القوم كلاماً مليئاً بشعاعات الإيمان وسمع مليكهم يقول أصغ إلى الإله الذي في كل الناس وسمع الكهنة يقولون أصغ إلى الإله الذي في داخلك وبدأت سياحة إبراهيم وصحبه في مصر وكان لهم زيارة إلى عين شمس أرض الحضارة المصرية وعلم إبراهيم المصريين علوم الفلك وعلوم الأبراج وتم تبادل الثقافات بين إبراهيم والفراعنة وازدادت أواصر المحبة بين الوفدين وحان عند إبراهيم وصحبه موعد الرحيل فما كان من فرعون مصر إلا أن حمل قافلتهم بالعديد من الهدايا والعديد من أسلحة المصريين وتعاهدا على استمرار العلاقة بينهما وقرر فرعون مصر إهداء سارة أميرة منف السابقة الأسيرة عند الفرعون لتكون عبدة لسارة إنها هاجر وكأن الله قد جعل أسر سارة لتأخذ معها هاجر إلى حياة إبراهيم وتستعد هاجر لبدء حياتها مع إبراهيم وسارة وهاهي هاجر وكأنها قد عادت أميرة كما كان عهدها السابق وما ذلك إلا بدء إمارة إيمانية خاصة بها يعلوها من الله شعاعات الإيمان ليكون من ذريتها عند الله خير الأنام محمد عليه السلام.



هاجر في حياة إبراهيم:

بدأت حياة جديدة لإبراهيم وسارة ومعهما أميرة منف السابقة عبدة لسارة وازدادت الحياة للجميع سعادة وازداد حب سارة لإبراهيم لعظيم حبه لها وعظيم تضحيته من أجلها لكنها لم تنجب له الذرية، والذرية في حياة أهل البادية أهم شيء في حياتهم لكن سارة كانت عند إبراهيم أهم من كل ذلك لأنها منذ زواجها منه وهي عون له في دعوته، ودعوته عنده أهم من حياته وذريته وفكرت سارة لماذا يضحي إبراهيم من أجلها بكل حياته وهي لا تضحي بشيء بسيط من أجله إن إبراهيم لابد له أن يتزوج زوجة يكون له منها ذرية ولم تجد سارة أمامها أفضل من هاجر لتكون زوجة له إنها عبدتها ولم تضايقها ولن تكون لها ضرة ثم إنها ابنه أصول عريقة إنها أميرة منف السابقة إن إبراهيم يستحقها وهي تستحقه وأوحى الله إلى سارة بأن تفاتح إبراهيم بما أوحى الله إليها به وفاتحت سارة إبراهيم وتم زواج هاجر بإبراهيم وغمرت السعادة الجميع وأولهم سارة وبعد زواج هاجر بإبراهيم جاء أمر الله إلى لوط لتوسيع دائرة الدعوة مع عمه في أرض سدوم وأخذ لوط صحبه واتجه نحو أرض سدوم وأقام حولها خيام واتجه نحو مليكها يستأذنه في الدخول فأذن له الملك على أن يكون مثل أهل البلاد له مالهم وعليه ما عليهم ودخل لوط وصحبه إلى المدينة وبعد حين من الزمن جاء إلى أرض سدوم غزو من الأشوريين وقاتل لوط وصحبه الأشوريين مع أهل البلاد وتم أسر لوط وابنتيه مع من تم أسرهم عند الأشوريين وعلم إبراهيم بالخبر وجهز جيشاً لتحرير أرض سدوم وإطلاق سراح الأسرى ومعهم لوط وابنتيه وكان لإبراهيم ما أراد وارتفع نجم لوط بين أهل سدوم وازدادت فيهم الأموال وانتشر فيهم الكفر والفسوق والضلال ولم يقبلوا بدعوة لوط لتوحيد العبادة لله والكف عن الفسوق وانتشرت فيهم فاحشة اللواط وبذل لوط وصحبة جهداً خارقاً مع القوم لإبعاد القوم عن البلاء الذي هم فيه ولكن العناد كان يزداد منهم يوماً بعد يوم حتى يئس منهم لوط كما تجلى لنا الآيات ﴿ **وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ** ﴾(العنكبوت: ٢٨-٣٠)، وهاهو إبراهيم وقد عاد إلى قومه بعد انتصاره على الأشوريين وتحرير لوط وابنتيه ومن معهم من الأسر وبعد عودة إبراهيم جاءت

له هاجر بابنه إسماعيل وأقيمت الولائم والحفلات أياماً متتاليات حتى جاء إلى إبراهيم يوماً ضيوفاً لم يشهد ضيوفاً مثلهم من قبل لا في هيئتهم ولا في أنوارهم ولا في ملابسهم فعلا في إبراهيم فرحته بهم وقرر أن يستضيفهم بنفسه وذبح لهم بنفسه الذبيحة وأعدها لهم طعاماً وحين قدم إبراهيم لهم الطعام وجد أنهم لا حاجة لهم به فتخوف إبراهيم منهم كما ترشدنا سورة هود ﴿ **وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾** ﴾ (هود: ٦٩ – ٧٣)، وبدأ ذهول سارة يدفعها نحو تساؤلات نفسها من يكونون هؤلاء القوم وكيف أنهم رسل الله ويبشرونها بأنها سوف تكون أماً كما صارت هاجر أماً وسألت ساره نفسها كيف تكون أماً وهي في شيبتها وزوجها شيخ كبير وهي التي كانت في شبابها عقيماً فحدثت الملائكة سارة بما يدور في نفسها وقالوا لها أتعجبين من أمر الله وتعود سارة إلى رشدها منتظرة رحمات الله إليها هكذا كان حال إبراهيم وحال سارة ولوط بعيد عنهما وهو الذي دعا الله النصرة على قوم سدوم وجاءت رسل إبراهيم بالبشرى وأخبروه بأن الله أرسلهم لنصرة لوط على أهل سدوم وترشدنا سورة الحجر عن كيفية النصرة للوط

﴿ **فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ﴿٦٨﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ﴿٦٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٧١﴾ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾**

فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (الحجر: ٦١– ٧٧)، هكذا جاءت نصرة الله للوط على أهل سدوم وعلى امرأة لوط وقد كانت تناصر أهل سدوم وتقول إنهم أحرار في حياتهم فجاءها من الله العذاب مع القوم المفسدين وعاد لوط وصحبه إلى عمه إبراهيم وقد رزق الله سارة بإسحاق إنه نصر الله لعباده المؤمنين.



بدء العلا في حياة هاجر:

بعد أن رزق الله سارة بإسحاق ووصل إسحاق إلى سن اللهو مع أخيه الأكبر إسماعيل بدأت غريزة الضرائر تنمو في سارة كيف يتساوى ابنها مع ابن عبدتها هاجر وكيف يكون العلا لابن هاجر على ابنها لأنه الأخ الأكبر له وظلت سارة تشكو ما في نفسها إلى ربها حتى أوحى الله إليها أن تطلب من إبراهيم إبعاد هاجر وابنها عن مكان معيشتها وكان أن حادثت سارة إبراهيم وكان أن أوحى الله إلى إبراهيم بإجابة طلب سارة بإبعاد هاجر وإسماعيل وتم إبلاغ هاجر بالخبر وضرورة إعداد نفسها للرحيل ومعها ابنها إسماعيل وأعدت هاجر عدتها دون أن تسأل إلى أين الرحيل وبدأت رحلة السفر قاطعة الأميال بعد الأميال وهاجر لا تدري إلى أين هي ذاهبة ولا تسأل عن مكان ذهابها حتى حان مكان الإقامة الذي يبحث عنه إبراهيم بوحي من ربه وحطت القافلة وأقام إبراهيم معهما بعضاً من الأيام حتى حان عنده موعد رحيله وعند رحيله فقط سألته هاجر أتتركنا في هذا المكان الموحش وحدنا يا إبراهيم فقال لها إبراهيم نعم فسألته أذلك بأمر منك أم بأمر من الله فأفادها إبراهيم بأنه أمر من الله فطمأنته هاجر بقولها إذن لن يضيعنا الله وبدأ رحيل إبراهيم عن هاجر وإسماعيل وناجي إبراهيم ربه كما في سورة إبراهيم:

﴿ رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ٣٧ رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٣٨ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى ٱلۡكِبَرِ إِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَۚ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٩ رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ ﴾ (إبراهيم: ٣٧ – ٤٠).

هكذا كانت مناجاة إبراهيم ربه عند رحيله عن هاجر وإسماعيل مناجاة مملوءة بالإيمان وبالثقة بالله وكان دعاء إبراهيم لربه فيه الرغبة في علا الإيمان في كل مكان والرجاء بأن ينبت الله الإيمان حول هاجر وإسماعيل دون أي خوف عليهما إنهما في رعاية الله وهاهي هاجر بعد مرور أيام وأيام من ابتعاد إبراهيم عنها وقد انتهي الماء الذي كان معها وهاهو طفلها يصرخ عطشا وهاهي حائرة وداعية إلى الله بالرحمة وهاهي في حيرتها وقد تجلي منها الدعاء إلى الله وهي تبحث عن الماء في كل مكان وكان سعيها بين جبلي الصفا والمروة وكانت كلما وصلت إلى منتصف الطريق ترى

رضيعها عند الصخرة فتهرول في المسير وهي تسمع صراخه وظلت على هذا الحال حتى وصل عدد أشواطها بين الصفا والمروة إلى سبعة أشواط وهاهي عند متصف المسافة بين الجبلين تسمع للماء صوتا فتظل تسترق السمع وتتقدم نحو الصوت حتى وجدت نفسها أمام رضيعها والماء يتدفق عذبا من تحت قدميه وكاد الماء يغرق المكان فكانت تنادي الماء زمي زمي حتى سمى بئر الماء بئر زمزم، هكذا كانت إجابة ثقة هاجر في ربها حين قالت لإبراهيم إن الله لن يضيعنا وهكذا كان بدء إجابة الله لدعاء إبراهيم وهاهي الطير وقد صارت لا تنقطع عن التحليق فوق المكان مما أذهل قبائل التجارة القريبة وبدأت القبائل تسأل نفسها لماذا يحوم الطير حول هذا المكان وبهذه الكثافة والمكان عندهم يعرفونه بأنه صحراء قاحلة ليس فيها ماء ودفعهم الأمر نحو حب الاستكشاف وتم إرسال وفد منهم إلى المكان وكانت المفاجأة للوفد الزائر إن المكان فيه بئر للمياه وبجوار هذا البئر امرأة وطفلها إنهم أصحاب هذا البئر وتم الاستئذان من هاجر في الشرب من ماء البئر وأذنت هاجر لهم وازدادت المفاجأة للوفد غرابة ما هذا الماء إنهم لم يشربوا في حياتهم ماءً بهذه العزوبة وهذا الطعم الجميل الذي له آثار على النفس والجسد وكأنه السحر وذهب الوفد إلى قومهم وأخبروهم بالخبر فاشتاق الجميع لزيارة المكان وكان لكبيرهم زيارة وتم استئذان هاجر في الشرب من البئر فأذنت هاجر لهم ووجد القوم أن ما سمعوه من الوفد كان حقاً فتم استئذانهم من هاجر في الإقامة حولها على أن يكونوا خدماً لها وتكون هي أميرتهم إنها دعوة خليل الله بأن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وبدأت هاجر تعلمهم ما تعلمته من صحف إبراهيم وبدأ الإيمان يعلو في القوم وهاجر أميرتهم، هكذا كانت رفعة الله لهاجر وإسماعيل كل ذلك وإبراهيم مشغول في توسيع دعوته ومعه لوط و اليعاذر الدمشقي وهاهي دعوة إبراهيم وقد اتسعت دائرتها إلى مملكة جرار في فلسطين وترك إبراهيم قومه خارج المدينة وتقدم مع وفد من معه لمقابلة مليك المدينة يستأذنه في الدخول هو وقومه وكان أن أذن المليك لهم على أن يكونوا مثل أهل المدينة لهم مالهم وعليهم ما عليهم وتم الإتفاق ودخل إبراهيم وقومه مملكة جرار واتسعت دائرة دعوته في جرار اتساعاً كبيراً كما حدث في دمشق وحفر إبراهيم لقومه بئراً ذلك الذي هو بئر سبع إلى الآن واغتصبه منه أهل المدينة ولم يحاربهم إبراهيم احتراماً لمليكهم ولما علم ملكيهم بالأمر زجر قومه وأمرهم بإعادة البئر إلى إبراهيم ولم يمنعهم إبراهيم بعدها من البئر بل جعله لهم كما هو لقومه إنها حكمة الدعوة إلى الله.



بدء العلا في حياة إسماعيل:

دارت أيام طويلة وإبراهيم مشغول في توسيع حدود دعوته وبعد التوسع والاستقرار في مملكة جرار حان عند إبراهيم زيارته لهاجر وإسماعيل إنهما أيضا دعوته كما أنهما أسرته إنه يريد أن يعرف إلى أين وصل حالهما وإلى أين وصلت الدعوة معهما، وهاهو إسماعيل وقد صار برعما يانعا متقدما نحو خدمة أمه ودعوة أبيه وتقدم إبراهيم نحو عريش هاجر إن العريش هو كما هو لكن كل ما حوله قد تغير وهاهي ألوان الخيرات وقد تعددت ألوانها و أضافها حتى صارت في كل مكان وأفئدة الناس لا تنقطع عن المكان وأحدث التغير الظاهر في إبراهيم ذهولاً كاد يفقد إبراهيم اتزانه من عظم كل ما حوله وحول العريش، وتقدم إبراهيم نحو عريش هاجر وسمع صوتها وهي تقرأ في الصحف فرفع صوته إليها مستأذناً في الدخول عليها يا لها من عظمة أخلاق الأنبياء وتسمع هاجر صوته وتعرفه أنه زوجها إبراهيم وتندفع هاجر نحوه مستقبلة له ليسمع منها عظيم فضل الله عليها وأنها كانت أميرة في مصر والآن هي أميرة عند بيت الله الحرام وكل من حولها يأتمرون بأمرها وإسماعيل ابنـــه هو أميرهم وهو زينة الفتيان وأشجعهم إن الدعوة إلى الله لها العلا حول بيته الحرام وتذكر إبراهيم دعاءه لربه ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى ۖ وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (إبراهيم: ٣٥ – ٣٦)، وعلم إبراهيم من هاجر بأن ابنه إسماعيل قد نجحت قبيلة العماليق في تزويجه منها وتوجه إبراهيم إلى بيت ابنه إسماعيل قبل سفره للسلام على ابنه وزوجته ولم يجد إبراهيم إسماعيل بالمنزل وقابلته زوجته فسألها عن إسماعيل فأخبرته بأنه في عمله بالصحراء فسألها عن حياتهما فأبلغته أنها حياة كلها تعاسة فقال لها إبراهيم سلمى على زوجك وأخبريه أن يغير عتبة بابه وحضر إسماعيل في المساء وأبلغته الزوجة بما كلفت به وعرف إسماعيل بأن هذا الشيخ هو أبوه وأنه غير راضي عن زوجته فطلقها إسماعيل وبدأت أمه في البحث له عن زوجة تناسبه فلم تجد حولها من تستحق أن تكون زوجة لأمير الشباب إن ابنها لا يناسبه إلا عروس من بنات مصر أصحاب الجمال وطاعة الأزواج فكان أن أعدت هاجر وفداً وحملته بالهدايا إلى فرعون مصر طالبة منه عروساً لأمير الشباب إسماعيل وكانت سعادة فرعون بالغة أن تكون عروس إسماعيل من بنات مصر واستضاف فرعون الوفد استضافة عظيمة وأعد لهم العروس التي تناسب أمير الشباب إسماعيل وحمل وفدهم العديد من الهدايا المصرية الخاصة والعديد من أسلحة المصريين وطلب منهم

أن يمدهم إسماعيل من سلاح الفروسية ذلك الذي قام إسماعيل بتأسيسه حيث كان وحده هو الذي يخوض في جوف الصحراء ولا يخاف الجان ولا السباع وهو الذي قام بترويض الفرسان حتى جعل منها سلاحاً أسماه سلاح الفروسية كما أنه روض الخيل لتعمل على قضاء حاجاتهم ووصل الوفد إلى هاجر محملاً بكل ما هو معهم من هدايا الفرعون ومعهم عروس تناسب أحلام هاجر إنها حقاً العروس التي يستحقها إسماعيل وتزوج إسماعيل بالعروس المصرية واتسعت دائرة السعادة في القوم بهذا الزواج السعيد وحان عند إبراهيم زيارة أخرى لزوجته هاجر وابنه إسماعيل وكان أن ذهب إبراهيم إلى دار إسماعيل كما في المرة الأولى وحدث نفس ما حدث في المرة الأولى إلا أنه حين سأل زوجة إسماعيل عن حياتهما قالت له إنها حياة كلها سعادة فقال لها إبراهيم سلمى على زوجك وأبلغيه أن يثبت عتبة داره وحين عاد إسماعيل في المساء أبلغته زوجته بما حدث فعرف إسماعيل بأن الزائر كان أبوه وأنه راضٍ عنه وعن زوجته فحمد الله.



ذكر ابتلاءات إبراهيم في سورة البقرة

لماذا جاء ذكر ابتلاءات إبراهيم بعد بيان بني إسرائيل ؟

البيان الذي جاء فيه فضح ظلام بني إسرائيل جاء بياناً مطولاً لم يأتِ بيان آخر مثله وهؤلاء القوم رغم ظلام فضحهم جاء منهم لأنفسهم مدحهم في قولهم بأن الله لن يدخل الجنة إلا من كان من قومهم هوداً كان أو نصارى بل إنهم قالوا إنه ليس على ملة إبراهيم أي قوم غيرهم بل وصل بهم غباؤهم إلى قولهم بأن إبراهيم هو الذي كان على دينهم وعلى ما سبق من بيان هؤلاء القوم وما كان في خاتم سردهم كان لابد أن يأتي من الله إبراز لأنوار إبراهيم وعلاه عند ربه لبيان أن ظلمات بني إسرائيل لا علاقة لها بأنوار إبراهيم حيث أنوار الإيمان لا تورث وهؤلاء القوم لا يربطهم بإبراهيم سوى علاقة النسب والذرية وما لذلك عند الله من درجة عليه تماماً كما كان حال آدم مع ولديه قابيل وهابيل وهو لم يكن منه إليهم غير تعليمهم الإيمان وتوابعه وكل نفس بما كسبت رهينة ولا شفاعة لأحد في معصية أحد وما كان من إبراهيم الخليل مع أبيه لم يكن شفاعة ولكنه كان وفاءاً بموعدة وعده إياها وهي مالها عند الله من إجابة فمن أين أعلن بنوا إسرائيل شفاعة إبراهيم أو يعقوب لهم وظلام القلوب هو علا حياتهم والشفاعة عند الله ليست إلا لمن سلك طريق الشفاعة وطريق بني إسرائيل ليس إلا الضلالة فمن أين لهم الشفاعة.



بناء البيت الحرام وظلاله:

زيارات إبراهيم لهاجر وإسماعيل كانت زيارات متتابعة كان يطمئن فيها عليهما وعلى اتساع دائرة الدعوة حولهما وكان دعاء إبراهيم لربه دوماً أملا في اتساع دائرة الدعوة حول زوجته وذريته ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (البقرة: ١٢٤ – ١٢٥)، ومما سبق يكون قد تجلى أمامنا أن الله لم يؤتي إبراهيم الإمامة إلا بعد أن ابتلاه بكلمات وأتمهن وكل ما سبق لنا من سُبُحات حول سيرة إبراهيم يدلل لنا على أن ابتلاءات الله لإبراهيم هي معه منذ بدء ريعانه وقد كان قلبه عاشقا لكل أنوار الإيمان حوله وكم كان إبراهيم يود امتداد تلك الأنوار الإيمانية إلى كل مكان حوله وجاء التعبير منه عن ذلك في حدود علمه حين أخبره الله بأنه قد اختاره للناس إماما وكان من إبراهيم أن طلب من ربه أن تكون الإمامة لذريته من بعده ولم يكن هذا الطلب من إبراهيم عصبية قبلية لذريته ولكنه كان سعياً منه ليكون عمله ممتداً في ذريته إلى يوم القيامة وأخبر الله إبراهيم بأن علمه محدود لأن ذريته سوف تكون مثل ذرية كل من سبقه من الأنبياء مثل آدم ونوح وأن ذريته سوف يكون منهم ظالمون والظالمون لا إمامة لهم عند الله لأن راية الإمامة الطاهرة لا تحملها إلا الأيادي الطاهرة وهاهم بنوا إسرائيل من ذرية إبراهيم وقد غمروا أنفسهم بتعدد النجاسات فما كان إلا أن حرمهم الله من تجليات السماوات وعلا الذات وانتقلت الإمامة من قومهم إلى قوم غيرهم إنها إلى ذرية نبي الله إسماعيل تصديقاً من الله لدعاء إبراهيم وإسماعيل ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (البقرة: ١٢٩) وكان عند الله الإجابة لدعاء إبراهيم وإسماعيل وقد جعل الله عنده خاتم المرسلين من ذرية إسماعيل إنه محمد خاتم المرسلين وبذلك يكون قد تم حرمان بني إسرائيل من الرسالات دون الحرمان من الخيرات كما خاطب الله إبراهيم في قوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ ﴾ (البقرة: ١٢٦)، وهكذا نجد أن دعاء إبراهيم لربه كان لغير الظالمين أي للمؤمنين فقط من خلقه ورحمات الله ليست هكذا وكان أن علم الله إبراهيم درساً آخر وهو أن عطاء الله ورزقه هما لكل خلقه المؤمن منهم والكافر حيث الحياة الدنيا عند الله ما جعلها إلا عرض زائل يأخذ منه البر والفاجر وأرزاق الله في كونه له فيها حكمة ليس من طاقة العقول استيعابها ذلك لأن رزق الله يقسمه بين عباده كيف شاء، كما أنه من رحمات الله على عباده أن عطاءه عنده لابد سابق لحسابه ثم بعد ذلك ثوابه أو عقابه، وجاء أمر الله لإبراهيم وإسماعيل بأن يرفعا قواعد البيت

﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ (البقرة: ١٢٧ – ١٢٩)، هكذا بدأ إبراهيم وإسماعيل في إقامتهما لقواعد البيت العتيق إنه البيت الذي جعله الله نوراً في أرضه لعباده المتقين وحول هذه الأنوار قال عبد الله بن عمر استشهد بالله ثلاث مرات أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (الركن والمقام ياقوتتان من ياقوت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس الله نورهما لأضاءا بين المشرق والمغرب) الترمذي ٨٠٤، والحجر الأسود كم أظهرت العلوم الحديثة بعضاً من إعجازاته فهو غير أي حجر على ظهر الأرض حيث أنه إذا وضع بالماء طفا ولا يغرق كما هو حال أي حجر آخر مهما صغر حجمه، كما أنه حجر غير قابل للبرى وإلا كان التآكل قد أصابه من كثرة مقبليه،كما أنه لا تلتصق به الميكروبات و الجراثيم و إلا كان ناقلاً للعدوى بين مقبليه كما أن موقع الكعبة هو مركز الدائرة لليابسة على الأرض وخط الكعبة هو الخط المستقيم للأرض وليس خط جرينتش والبيت الحرام وما حوله لا تقترب منه الطيور الجارحة كما أن الحمام لا يمكنه الطيران فوق الكعبة ومحيطها لوجود موجات مغناطيسية تمنعه من ذلك ماذا وإلا كان الحمام حين طيرانه فوق الكعبة يكون ملقياً عليها وحولها برازه إن قدسية المكان فيها العديد من إعجازات الرحمن وماء زمزم أيضا فيه العديد من الإعجازات ويكفي أن نقول منها أن نسبة الملوحة فيها لو وجدت في أي

ماء آخر لكان قريباً من ماء البحر وهو لا يتغير بتغير الزمن مثل أي ماء آخر وفي الأمر أبحاث علمية متسعة ليس مكانها بيننا كفانا أن نعلم بعضاً من أنوار المكان ورفع إبراهيم وإسماعيل قواعد البيت كما أمرهما الله وجعلا عند الركن اليماني بابا إلى زمزم وكان منهما الدعاء إلى الله بأن يجعلهما من المسلمين له وكذلك ذريتهما وأن يعلمهما الله مناسك الحج حول البيت وأن يجعل من ذريتهما له رسولاً يعلم الكتاب والحكمة ويزكي قومه بعلا الإيمان بالله وجاء من الله إلى إبراهيم بدء تعليمه لمناسك الحج بقوله تعالى لإبراهيم:

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ يَأۡتُوكَ رِجَالٗا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٖ يَأۡتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٖ ﴿٢٧﴾ لِّيَشۡهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمۡ وَيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۖ فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡبَآئِسَ ٱلۡفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ﴾ (الحج: ٢٧ – ٢٨)، وحين جاء هذا الأمر إلى إبراهيم سرعان ما تسأل في نفسه كيف يصل آذانه إلى الناس وصوته لن يصل إلا لمن حوله فقط وكان أن علم الله إبراهيم بأنه عليه فقط الآذان وعلى الله البلاغ ولا غرابة في ذلك فهاهو عمر بن الخطاب رغم تباعد المسافات بمئات الأميال أراه الله سارية ابن حصن في فتوحاته وقد كاد أن ينهزم سارية وجيشه إن لم يتحصن بالجبل فنادى عمر على سارية بالتحصن وتحصن سارية بالجبل وكان له من الله النصر وبعد أن عاد سارية من انتصاره قص على عمر وأصحابه سبب نصره وكان أن علم أن عمر نادى بالنداء في نفس الزمان الذي سمع فيه سارية ومما سبق نكون قد علمنا كيف أن إبراهيم فقط كان عليه النداء وعلى الله البلاغ وكان ذلك في يوم الثامن من ذي الحجة، وفي الليلة العاشرة رأي إبراهيم في نومه رؤيا: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (الصافات: ١٠٢)، هكذا كانت رؤيا إبراهيم وهكذا كانت أجابه إسماعيل وكانت هذه الرؤيا فرصة كبرى لإبليس اللعين لكي يوسوس إلى إبراهيم لعصيان رب العالمين فكان أن جاء إبليس إلى إبراهيم على صورة رجل كبير السن وخاطبه لا تذبح ابنك ولا تصدق أوهام أحلامك فكان أن عرف إبراهيم بأن هذا ليس إلا إبليس ،لأنه داع إلى معصية الله فأخذ إبراهيم من الأرض سبع حصوات وقذفه بها حتى اختفى من أمامه، وكان ذلك تأكيد لإبراهيم على أنه كان إبليس وكرر إبليس فعلته مع هاجر وإسماعيل وكان أن لقي نفس المصير السابق حتى خابت خيبته وظهر له أمام عظمات الجبار ذلته وصار ما حدث

من رجم في هذا الحدث منسكا من مناسك الحج وأخذ إبراهيم إسماعيل واتجه به نحو الجبل لتنفيذ أمر الله وكان أن أوصى إسماعيل أباه إبراهيم بضرورة تقييده قبل الذبح بطريقة جيدة حتى لا يصيبه دمه عند الذبح وأن يكون إبراهيم عند الذبح ذابحا له من الخلف حتى لا يرى وجهه فتأخذه به الرأفة ونفذ إبراهيم وصايا ابنه وعند بدء الذبح سمع إبراهيم نداءً أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ووجد إبراهيم أمامه كبشاً كبيراً ليذبحه فداءاً لإسماعيل وفي هذا الأمر جاء قول الله تعالى:

﴿ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْـَٔاخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَـٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ ﴾ (الصفات: ١٠٣ – ١١١)، وصار هذا الحدث منسكا من مناسك الحج وهكذا كان كل ما سبق من ابتلاءات الله لإبراهيم مجلية أمامنا بوضوح تام أنه لا توجد أي علاقة بين أنوار حياة إبراهيم وظلام حياة بني إسرائيل وأنهم قوم لا يربطهم بإبراهيم سوى علاقة النسب والذرية إنهم هم الذين سفهوا أنفسهم بالبعد عن ملة إبراهيم

﴿ وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (البقرة: ١٣٠)، ولكن كيف لهؤلاء القوم بعد كل ما سبق بيانه يقولون إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا يهودا أو نصارى رغم أنهم جميعا كانوا قبل اليهودية والنصرانية إن الذي يعلم ملة هؤلاء السابقة من الأنبياء والأقوام ليس إلا خالقهم ومنزل الرسالات إليهم وبنوا إسرائيل غير كل الأقوام حياتهم منذ بدئها سفاهات وسفاهات وخاتم الرسل في دعوته لهم لن يسأله الله عن سفاهاتهم لأنه كما قال له ربه ما على الرسول إلا البلاغ، وفيما سبق جاء قول الله تعالي:

۞ وَإِذِ ٱبۡتَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٖ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامٗاۖ قَالَ وَمِن
ذُرِّيَّتِيۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهۡدِي ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذۡ جَعَلۡنَا ٱلۡبَيۡتَ مَثَابَةٗ لِّلنَّاسِ وَأَمۡنٗا
وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ وَعَهِدۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ
لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا
بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن
كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٢٦﴾ وَإِذۡ يَرۡفَعُ
إِبۡرَٰهِـۧمُ ٱلۡقَوَاعِدَ مِنَ ٱلۡبَيۡتِ وَإِسۡمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلۡ مِنَّآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ
﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَٱجۡعَلۡنَا مُسۡلِمَيۡنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبۡ
عَلَيۡنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ
ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَن
يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي
ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾

ضلال بني إسرائيل على ملة إبراهيم:

كل دين قبل الإسلام منذ بدء آدم ليس إلا إسلام ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحٗا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ٣٣ ﴾ (آل عمران: ٣٣)، والإسلام يعني إسلام الوجه لله والدين يعني مديونية العباد لخالقهم ولأن دينهم إلى الله فهم لا طاقة لهم بعظماته ولا طاقة لهم بتسديد دينهم إليه وعليه فليس أمامهم إلا إسلام أنفسهم إلى الله المحمود عساه أن يقبل منهم حمدهم ولأن هذا شأنهم جاء الحمد في فاتحة الكتاب حمداً متصلاً بلفظ لله وليس إلى الله عسى المحمود أن يقبل من الحامد حمده وهكذا يكون ما سبق قد جلى أمامنا بأن خلق الإنسان منذ بدأ لهم الزمان وحتى آخر الزمان لا ظل لقلوبهم غير أنوار الإسلام صاحب العظمات الكمال ونظراً لما لهذه العظمات من علا ما كان لها أن تأتي دفعة واحدة لأن كل عظيم لابد سابق لقدومه تقديم وعليه كان لابد سابق لعلا عظمات الرسالة الخاتم عديد من الرسالات لتكون ممهدة لأنوارها وهذه الرسالات الممهدة مالها من ملة ولا منهج إلا كان هو بعض من الكتاب الأصل عند الله وكما قال تعالى في سورة آل عمران

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبٗا مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ يُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ وَهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ ﴾ (آل عمران: ٢٣)، ومن قراءة ما سبق يكون قد تجلى أمامنا أن الرسائل السابقة للرسالة الخاتم ما كانت إلا بعضاً من نصيبها والرسالتين السابقتين للرسالة الخاتم كانتا في بني إسرائيل، وبني إسرائيل هم من ذرية إبراهيم وإبراهيم أوصاه الله بالإسلام، وإبراهيم أوصى بنيه بالإسلام، ويعقوب الذي كان من ذريته الرسالتين السابقتين للإسلام أوصى بنيه بالإسلام وتجلى لنا آيات من سورة البقرة ما كان لإبراهيم وبنيه

﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٣٠ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٣١ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٣٢ ﴾ (البقرة: ١٣٠- ١٣٢)، هكذا كان إبراهيم، وهكذا كان يعقوب الذي منه بني إسرائيل كلهم لا علا لهم إلا الإسلام ورسل بني إسرائيل جاء إليهم في كتبهم البشرى بالرسالة الخاتم الكاملة ورسولها الكامل من الله وهم وصفوا رسول الرسالة الخاتم قبل ظهوره من كتابهم وكأنه كان بينهم وكأنه كان أحدهم

وهكذا نجد أن كل الظلال التي كانت حول أهل الكتاب قبل الرسالة الخاتم كان فيها العشق والزهو والترقب لأنوار الرسالة الخاتم ورسولها وكان في أفعالهم وأقوالهم دلالات على أنهم سوف يكونوا أول المؤمنين برسالة خاتم الأنبياء والمرسلين ولكنهم حين ظهر الرسول الخاتم في قوم غيرهم كان منهم نكرانهم لكل أقوالهم بل إنهم حرفوا من كتبهم كل إشارة إلى الرسالة الخاتم أو رسولها وكم كان الرسول الخاتم أملاً في أن يكون أول المؤمنين به أصحاب الرسالات السابقة له خاصة أن رسالته جاءت مادحة لرسالاتهم ورسلهم بل حتى لقوم من بينهم كما أنه لا إيمان بالإسلام قبل الإيمان بالرسالات السابقة ولكن هيهات هيهات من قوم الإيمان في قلوبهم ممات، وما الإيمان في حياة هؤلاء إلا شهوات لرفعة الذات وتذوق الملذات وجاء عزاء الله لرسوله لقلة المؤمنين من هؤلاء القوم: ﴿ **تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾** ﴾ (البقرة: ١٣٤)، ﴿ **وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٢٦﴾** ﴾ (فاطر: ٢٥ – ٢٦)، هكذا جاء عزاء الله لرسوله في قوم لا عزيز لهم في حياتهم غير شهواتهم وأوهامهم وضلالتهم وكيف لا وهم القوم الذين قالوا عن أبيهم إبراهيم إنه كان على ملتهم كيف وإبراهيم لم يعرف عنهم إلا أنه سوف يكون من ذريته قوم ظالمون، وملة إبراهيم لم تكن غير ملة الإسلام تلك التي وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب كما جاء بيان ذلك في قوله تعالى ﴿ **وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾** ﴾ (البقرة: ١٣٢)، وهؤلاء القوم وحدهم كم جاء سردهم مطولاً في العديد من سور القرآن الكريم وما ذلك إلا رحمة من رب العالمين بأمة الإسلام والمسلمين ليكونوا على بينة من شرور ظلام بني إسرائيل حتى لا يكونوا أمثالهم ويتعلموا من ضلالاتهم بالسعي نحو رضا ربهم ومن رحمات الله بالإسلام أن هؤلاء القوم لم يندفعوا نحو الإسلام لأنهم لو اندفعوا إليه لكانوا عاراً عليه ولحدث منهم للإسلام الظلام تلو الظلام فالحمد لله ربنا الرحمن أن أعز أمة الإسلام على كل أمم بني الإنسان:

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ (آل عمران: ١١٠).

وما سبق جاء فيه قول الله تعالى:

وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً ۖ وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾ قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِى ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطَ كَانُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ ۗ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

إيجاز في ابتلاءات إبراهيم

١- نشأ إبراهيم في بيئة كلها كفر ولكن أنوار الإيمان في قلبه كان لها العلا على كل ما حولها من كفر.

٢- بدأ إبراهيم دعوته بنصيحته لوالديه بالحكمة والموعظة الحسنة.

٣- حطم إبراهيم أصنام قومه لإعلاء كلمة التوحيد ولم يخشى قومه ومليكهم.

٤- مناظرة إبراهيم لمليك القوم دون خوف أو رهبة من النيران.

٥- جهاد إبراهيم لتوسيع حدود دعوته حتى بيت الله الحرام.

٦- لم يشغل أسر ساره إبراهيم عن استمراره في توسيع دعوته.

٧- رضاه بعقم ساره لأنها كانت عوناً له في دعوته.

٨- زواجه من هاجر رغم أنه كان سيدها إرضاءاً لزوجته سارة وطاعة لأمر الله.

٩- تردده الدائم على هاجر وإسماعيل عند البيت الحرام للاطمئنان عليهما وعلى الدعوة.

١٠- تطهير البيت العتيق ورفع قواعده والمناداة بالحج وتعليم مناسكه.

١١- الرضا بأمر الله بذبح ابنه البكر إسماعيل.

١٢- وصيته لكل أبنائه بضرورة إسلامهم الوجه لله.

وبهذا الختام يكون قد تم الجزء الأول

والحمد لله رب العالمين

فهرس

وبعد يسعدني أن أتلقى توجيهاً من أي قارئ مهما كان مكانه ومهما كانت مكانته بعداً أو قرباً كما أنه يسعدني أن أكون مساهماً في أي من جهود الدعوة في أي زمان أو مكان يشاؤهما الرحمن عسى الله أن يقبل منا جهادنا ونكون على سنة حبيبنا وعشيقنا محمد خاتم الرسل نبينا

أخوكم

حسن الروحاني

٠٥٥٢٣٢٧٧٢٨

٠١٠٦٢٨٧١٠٨

e-mail: ro٧any@yahoo.com